خواطر، حقائق وذكريات

حرب على الحقيقة

فاتن صبري

www.fatensabri.com

٢٠٢٤

خاطرة وعبرة ٤
نشأة الكون: بين مصادر المعرفة، الفراغ الكمي وفلسفة العلم ٨
عُلوّ الخالق & الحقيقة المطلقة (أسطورة العميان والفيل) ١٧
بين القوة والذات الإلهية ٢١
مفهوم التجسد.. إلى أين؟ (أسطورة ال٤٠٠٠ ديانة) ٢٥
حرب على الحقيقة ٢٩
زيارتي للمونديال، ومعرفة الخالق ٣٣
السرديات الكبرى: بين هدف عظيم ومآل أعظم ٣٦
هل التمسك بالحق يورث عزة أم كبر؟ ٤٣
بين العولمة وصناعة التفاهة ٤٧
بين مؤتمر قمة المحيط وأولويات البشر ٥٠
فقه الأولويات والتفكير الموضوعي (مؤتمر حوار الديانات) ٥٢
القضية وجوهر الأمر (موازين الآخرة) ٥٦
علم الطاقة وتحقيق الرغبات ٦٠
اليوم العالمي لعدم الاستسلام (قيم، مبادئ وأخلاق) ٦٥
نظرية الاستبدال الكبير وصناعة الجهل (قصة القرود الخمسة) ٧١
إنسانية الإسلام (منظمة حقوق الطفل) ٧٥
الحرية: بين ملذات شخصية وصحوة عقلية (مفهوم العصا والجزرة) ٨١
حوار الفاتيكان والتعايش السلمي ٨٨
كلمة أخيرة ٩٣
..... ٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

خاطرة وعبرة

مع بداية مرحلة التعافي عالميًا من جائحة الكورونا، بدأ كل من يتوق للسفر بالتخطيط لرحلته القادمة. كما بدأت كافة الوجهات السياحية عالميًا من فنادق ومطاعم وغيرها باتباع خطوات مدروسة لإعادة فتح نشاطاتهم بكل أمان وذلك بوضع بروتوكولات جديدة مصمّمة لضمان صحة الجميع. وبإمكان الجميع معرفة آخر النصائح والإرشادات الخاصة بالصحة والسفر العالمية، واتخاذ الاحتياطات اللازمة. إن هوس الحصول على الأمان يحتل جانبًا أساسيًا في حياتنا. وهو يمثل حاجة ملحة لدى البشر يسعون جاهدين للحصول عليها. لا يقبل الإنسان على نفسه في هذه الدنيا أن يكون لا شيء. ولكنه قد يقتنع بهذه الفكرة عند الحديث عن الحياة بعد الموت ويقول سوف أكون لا شيء.

أذكر أنني خلال سفري مع زوجي حول العالم قد حرصت على حفظ معنى كلمة مخرج عن ظهر قلب في لغة كل دولة كنت أزورها. وهذا لحرص زوجي على قيادة السيارة بنفسه في بعض الرحلات الفردية خارج نطاق العمل. ومن خوفي الشديد لأن نضل الطريق كنت أحفظ الكلمات التي تدل على المخرج في لغات صعبة ومثيرة للاهتمام بالنسبة لي مثل اللغة الصينية على سبيل المثال. وخلال مهمات خاصة مع الأمم المتحدة دائمًا كانوا يزودننا بالحراسة المرافقة لنا لحرصهم على توفير الأمان لنا. بالإضافة إلى نشرات لا تعد ولا تحصى عن تعليمات السلامة والأمان ودرجة الخطورة في الدولة التي نسافر إليها. وفرض التطاعيم اللازمة علينا قبل كل رحلة. ناهيك عن التسجيل في شركات التأمين على المركبات والأشخاص، وحتى التأمين على المغادرة من الدولة المنكوبة في حال حصول الكوارث الطبيعية أو الحروب.

إجراءات السلامة والأمان هذه يكاد لا يخلو منها مكان في العالم. مثل طفايات الحرائق، وتأمين أرقام هواتف الطوارئ، ولافتات المخارج وغيرها. وخصوصًا بعد أزمة الكورونا وتداعياتها، من فرض التعقيم، الكمامات، والحث على غسل اليدين وما إلى ذلك. نجد إرشادات ووسائل السلامة والأمان في الطائرات ووسائل المواصلات، المكوكات الفضائية، قاعات المؤتمرات الدولية، المباني السكنية، المدارس والجامعات، المساجد ودور العبادة، المطاعم والأماكن الترفيهية، ملاعب كرة القدم، المستشفيات والعيادات الخارجية، وغيرها الكثير والكثير. نركب السيارة ونبحث عن حزام الأمان، نركب الطائرة ونربط حزام الأمان، يتحدث الطبيب دائمًا عن سلامة الحامل ومولودها. ومع كل هذا لا زلت أسمع إجابة غريبة من بعض الملحدين عندما أحدثهم عن أهمية الحصول على الأمان بعد الموت فيقولون: نحن لسنا بحاجة لهذا الأمان.

في حواري مع ملحدة بريطانية يومًا، وكانت قد قالت إنها ليست بحاجة للأمان حتى قبل الموت.

سألتها: أنت عندما تغادرين هذا المكان وتركبين سيارتك متوجهة إلى وجهتك القادمة ألا تحتاجين أن تصلي سالمة؟

أجابت: لا.

سألتها: ولماذا ترتدين الكمامة إذًا وأنت تتحدثين معي مع أن قيود جائحة الكورونا قد رُفعت؟

فشعرت السيدة حينها بإحراج شديد.

من أدعية القرآن الكريم وهو آخر وحي خالق الكون: وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (الإسراء:٨٠)

ندخل الطائرة ونركب القطار أو الحافلة ونحن نعلم من أين جئنا، هدف الرحلة، ووجهة الوصول. ومن دون معرفة هذه الأمور لن نستطيع الاستمتاع بالرحلة. ومن أعجب ما أسمعه من المنكرين لوجود خالق للكون أنهم لا يبالون بمعرفة هذه الحقائق.

فكل منا يحرص ويتمنى رحلة طائرة في الدرجة الأولى، وتذكرة قطار في الدرجة الأولى، ودرجة أولى في التحصيل الدراسي. لكنه قد يقبل بلا شيء عند الحديث عن الآخرة.

ذُكرت كلمة الأمن ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وهو الأمن الذي يعني السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان أو على مصالحه، أي ما يشمل أمن الفرد، وأمن المجتمع.

يقول الخالق (الله): أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فصلت الآية ٤٥)

وسيلة الحصول على الأمان في هذه الحياة الدنيا وبعد الموت تتمثل في هذه الآيات الكريمة:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

ولن يتحقق الأمان إلا بإقامة العدل على وجه الأرض. ولقد جاء دين الإسلام ليقيم العدل على الأرض. وهو الدين الذي جاء به جميع أنبياء الله لجميع الأمم، والذي انحرفت عنه جميع ديانات الأرض التي قدس أتباعها أنبياءهم والصالحين منهم. ولكن أي عدل؟ إنه العدل الذي يضع الأمور في نصابها. إنه الإعتراف بأن:

- للكون خالق عظيم، خلقه لحكمة عظيمة.
- للبشر خالق عظيم، خلقهم لحكمة عظيمة.
- الخالق منفصل عن البشر.
- الخالق لا يأتي إلى الأرض في صورة مخلوقاته.
- البشر منفصل بعضهم عن بعض.
- لكل إنسان روح مستقلة.
- الكون منفصل عن الخالق وعن البشر.
- لهذا الكون ولهذه الحياة نهاية حيث يحاسب بها الخالق البشر على أعمالهم.
- الخالق لهذا الكون هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وهذه البديهيات أعلن بعض البشر الحرب عليها.

وقد يحرم الخالق البشر من الأمان بسبب ذنوبهم، كفرهم، عبادتهم غيره، أو جحودهم لنعمه وعدم شكره عليها. كما حصل في جائحة الكورونا. يقول الخالق: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (النحل :١١٢)

الأمن ينافي الخوف. يقول تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (البقرة: ١٢٥)

أي أمنًا للناس، وأمنًا من العدو، وأمانًا لمن يدخله.

وفي قوله تعالى: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (يوسف: ٩٩)

أي آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط.

وفي قوله سبحانه: وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (الحجر: ٨٢)

يقصد بالأمن عدم الحاجة. أي أنهم نحتوا بيوتًا من الجبال من غير خوف ولا احتياج إليها، بل بطرًا وعبثًا.

ولا يحصل الإنسان في هذه الحياة الدنيا على الأمن المطلق. فمهما أوتي الإنسان من نعمة وسلامة نفس وبدن ووفرة رزق، فهو لا يشعر بالأمن الكامل المطلق الذي ينافي كل خوف مهما كانت أسبابه. فالأمن المطلق، لا يوجد إلا في دار النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين.

قال تعالى: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (الحجر: ٤٦)

ففي الجنة، لا خوف ولا فزع ولا انقطاع ولا فناء. أما في الدنيا؛ فالأمن المطلق لا يتحقق، إذ يشوبه الخوف من انقطاع الأمن، والخوف من زوال الحياة نفسها. ولا يدعي الحصول على الأمن المطلق من عذاب الله في هذه الدنيا إلا الغافلون الخاسرون، يقول تعالى: أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (الأعراف: ٩٩)

أما المؤمنون حقًا فيقول تعالى: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢) (الأنعام: ٨٢)

فالهم بين الرجاء في رحمة الله عز وجل، والخوف منه سبحانه، الذي يعتبر ضروريًا للمؤمن حتى يأمن من ظلمه لنفسه، ومن ظلمه لغيره، ومن ظلم غيره له، فالخوف من الله مفتاح الأمن للمؤمن في دنياه والفلاح في أخراه. وقد جعل الله الخوف نوعًا من العذاب للمكذبين والكافرين، يقول تعالى: وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (الإسراء الآية ٥٩)

وجعل الابتلاء بالخوف من قبيل الاختبار الذي قد يتعرض له الإنسان. يقول تعالى:

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ (البقرة: ١٥٥)

ونهايةً يرسل الله رسالة إلى كل من حارب رسوله ورسالة التوحيد، حتى وإن كان منعمًا في هذه الحياة.

يقول تعالى: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (قريش: ٣-٤)

يقول ابن قيم الجوزية: "احذر نفسك، فما أصابك بلاء قط إلا منها، ولا تهادنها، فوالله ما أكرمها من لم يهنها، ولا أعزها من لم يذلها، ولا جبرها من لم يكسرها، ولا أراحها من لم يتعبها، ولا أمنها من لم يخوفها، ولا فرحها من لم يحزنها". وبهذا الوصف الدقيق لطريقة التعامل مع النفس لابن القيم نستطيع الحصول على الأمان في الدنيا والآخرة.

يهدف هذا الكتاب بدايةً لإثبات وجود خالق للكون، وتوضيح مفهوم الإله المعبود من المنظور الإسلامي، كما يهدف الكتاب إلى توضيح أن الحرية التي وهبها الخالق للبشر أمانة ومسؤولية، ووعي بالحق والالتزام به والإخلاص في طلبه. فحريتنا في الاعتقاد والاختيار تسمح لنا بالتعايش السلمي، وهذا مطلوب، ولكن لا تستطيع جعلنا نقبل الخطأ على أنه صواب. فلم يعد للبشر مركز، ونعيش اليوم نحن البشر حالة تشتت وبحث عن شيء مركزي، فواقع البشر يجعله يغير كل شيء. فما هو المبدأ الذي يجب أن يتخذه الإنسان لنفسه لتحقيق سعادة أبدية؟

لقد وجدت أخيرا بعد بحثي الطويل أن: القيمة العليا التي يجب أن يختارها البشر هي حق الخالق، والتي يجب أن تكون على رأس قائمة أولويات الجميع. والقيمة هي المحرك والمحفز عند الإنسان، فلا يعيش إنسان بلا قيمة. وكل منا يرى الدنيا من وجهة نظره لذلك، فبإمكان الجميع التغيير من حياتهم إلى الأفضل. والقيم هي تفضيلات شخصية، وهي بشكل عام صفات حميدة، ولكن الاختلاف بين الأشخاص في ترتيب الأولويات في اختيار القيمة الأهم من هذه القيم. وبناءً على اختيار الإنسان يتحدد مقامه عند خالقه. وقيمة الخلود بعد الموت والعمل لأجلها يجب أن تكون هدف كل إنسان. والمبدأ الذي يجب أن يتخذه البشر هو أن المساس بحق الخالق هو خط أحمر بالنسبة له. فما هو قرارك؟ أن تكون شيء مهم وتعيش من أجل قيمة عليا، أم تكون لا شيء؟

والشعور بالعبودية للخالق يشعر الإنسان بالمساواة والعدل بين الناس، لأنهم جميعاً متساوون في صفة العبودية لله الواحد الأحد. لذا فإن المجتمع الذي تسود فيه العبادة والعبودية للخالق لا يجد الناس فيه غاية في الحياة غير الخالق، ولا يملأ آفاق نفوسهم شيء غير العبودية له. فيحطّم الناس حينذاك أصنام العبوديات المختلفة، صنم المال، والشهوة، والجاه، والسلطة، والكبرياء، إلخ. ليكونوا أحراراً كما خلقوا، وكما أراد لهم خالقهم العظيم.

فهناك قانون أخلاقي بداخل كل إنسان وهو الضمير الإنساني. وهو قمة العدل. ولكن هذا القانون لا يلتزم به الإنسان، لأن الإنسان غرائز وحرية. فلا بد من قانون صارم ليجعل الإنسان يلتزم بقانونه الاخلاقي. ولكن هذا لا يكفي، فالقانون البشري فقط يعاقب المسيء ولا يكافئ المحسن إلا نادرا. ولكن القانون الإلهي يعاقب المسيء ويكافئ المحسن. وهنا الفرق. والمنطق هو هيكل الحقيقة، والإنسان مفطور على العقلانية.

ومما تعرقلت عقلانية الإنسان وتشوهث بفعل عوامل أخرى يظل في النهاية مفطوراً عليها، ويعود إليها كلما قل تأثير ما يُلبس عليه. لذلك فإن محاربة الحقيقة هي فكرة فاشلة، لأنها ستسلط الضوء على الحقيقة أكثر. وإني لأسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا الكتاب ويجعله مصدر هداية وخير للجميع.

نشأة الكون: بين مصادر المعرفة، الفراغ الكمي وفلسفة العلم

إن السبب أو الغاية عند كتابة قصة هو سبب تسلسل الأحداث طوال الحبكة. تقوم القصة على سلسلة من الأحداث تجذب انتباه القارئ إليها، وتجعله يتتبّعها بلذة وشغف، ودور هذا الحدث هو الصراع الذي يدور بين الشخصيات أو بين الشخصية الرئيسة ونزعة من نزعات النفس أو فكرة أو قيمة أخلاقية اجتماعية، وهو السبب الرئيس والدافع الأساسي لقيام القصة وحدوثها، ويتكون من: "البداية" وفيها تبدأ القصة وغالبًا ما يكون استقرار ظاهر، ثم "الوسط" وفيه يشتد الصراع إلى أن يبلغ الذروة، وأخيرًا "النهاية" وتتجمع فيها عدة عوامل وقوى تتطور وتتشابك إلى أن تتضاءل. فماذا عن قصة حياتنا، سببها، ومصيرنا بعد الموت؟

تعد فلسفة العلوم فرعًا من فروع الفلسفة يهتم بأسس العلم وأساليبه وتداعياته. تتعلق الأسئلة الجوهرية لهذا الفرع بما يوصف على أنه علم، وموثوقية النظريات العلمية، بالإضافة إلى الغرض النهائي للعلم.

قالت لي سيدة مكسيكية ملحدة ذات يوم: أنا أؤمن بالعلم. من خلال العلم لا يمكن إثبات وجود خالق للكون. لذلك فإن الخالق غير موجود.

قلت لها: علينا أن نفهم أنه وفقًا لفلسفة العلم، ولكي يكون الاستنتاج العلمي علميًا، لا يمكن له أن يشير إلى القوة الإلهية أو الحكمة الإلهية. هذا لا يعني أن الخالق غير موجود، ولكن هذه هي طبيعة الاستنتاجات العلمية. هم مقيدون بهذه الطريقة[١].

قلت أيضا: علينا أن نفهم كذلك حدود العلم. أحد حدود العلم هو أنه في أي لحظة يقتصر العلماء على ما يمكن مشاهدته وملاحظته، وبناء على المعطيات التي لديهم. وهذا يشمل الملاحظات المباشرة وغير المباشرة. هذا بالضبط ما يوضحه الفيلسوف "إليوت سوبر" في مقالته، حيث يقول: "عادة ما يكون العلماء مقيدون بالملاحظات التي لديهم. القيد هو أن العلم مجبر على حصر اهتمامه بالمشكلات التي يمكن للملاحظات حلها"[٢].

---

[١] HAS SCIENCE DISPROVED GOD? DECONSTRUCTING FALSE ASSUMPTIONS. By: Hamza Andreas Tzortzis

[٢] Sober, E. (٢٠١٠). Empiricism. In: Psillos, S and Curd, M, ed, The Routledge Companion to Philosophy of Science, pp. ١٣٧-١٣٨

قالت الملحدة اللاتينية: لقد أتينا من لا شيء.

سألتها: هل يمكن أن يأتي شيء من العدم؟

أجابت: بالنسبة لي فإن الخالق غير موجود، لذلك فهو غير موجود. يمكن للجميع أن يؤمنوا بما يريدون.

قلت لها: وجود الشيء في ذاته لا يتوقف على معرفة الآخرين بوجوده. وذكرت لها مثال الفيل الشهير حيث قلت: إذا كان هناك فيلٌ يرقص في إحدى الكواكب البعيدة عنا بمليارات السنوات الضوئية، فإن معرفتنا بوجوده أو عدمها لن يغير من حقيقة كونه موجودًا أم لا. والمشكلة التي يعاني منها الفكر الإلحادي المعاصر ليس قوله بتوقف الوجود على إدراك الموجود فقط، بل وبحصر أدوات إدراك الوجود، حيث يجب علينا أن ندرك وجود الفيل الرّاقص بواسطة الحواس، أو بواسطة أدوات الرصد العلمية أو ما يدخل في دائرتها. وهذا الفكر يشبه عند التحقيق مذهب النمل، إذ كل ما لا تستطيع النملة أن تدرك وجودَهُ بواسطة مداركها الحسية وأدواتها البسيطة فهو شيء لا وجود له. فبالتالي يمكنكِ أن تؤمني بما تريدين، لكن طريقة تفكيركِ لا تلغي الواقع.

قالت: لا، إنه ينفي الواقع تمامًا.

قلت لها: إذاً، بالنسبة لي، والديك غير موجودين. هل قناعاتي هذه تجعل والديك غير موجودين بالفعل؟

تعجبت المرأة من جوابي وصمتت.

أخبرتها: أنت تخدعين نفسك. إنكِ تحاولين إنكار وجود الخالق لأنكِ تريدين التهرب من المسؤولية. لا تريدين أن يحاسبك الخالق على أعمالك. الخالق موجود شئنا أم أبينا. هو خالق الكون وما يحتويه.

إن من أعجب الأمور التي تواجهني أثناء حواراتي المباشرة مع المنكرين لوجود خالق للكون، هي أن أسئلتهم متشابهة ومتكررة. فبمجرد أن أقرأ عن شبهة مثارة حول وجود الخالق، حتى أسمعها مباشرة في اليوم التالي خلال نقاشي مع ملحد أثناء عملي.

وهذا تمامًا تصديقًا لقول الله تعالى: كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (الذاريات)

وما تُقر به الآية الكريمة أنه من درجة تشابه ردود أفعال منكري وجود الله أو منكري رسالاته، وكأن بعضهم يوصي البعض الآخر بها.

قال لي ملحد أمريكي يومًا: أمي هي التي خلقتني.

قلت له: أمك ولدتك ولم تخلقك، هي لا تستطيع حتى حمايتك من الموت.

سألني: ما هو دليل وجود الخالق؟

أجبته: من أحد مصادر المعرفة التي تستوجب اليقين هو: الخبر الصادق.

عندنا يقين تام بأسمائنا. تلقينا أسمائنا من شهادات ميلادنا. تلقينا شهادات ميلادنا يقينًا من آبائنا. تعرفنا على آبائنا يقينًا دون تحاليل الحمض النووي. تعرفنا من الصغر على خارطة العالم، وأيقينا بوجود الدول، وحفظنا أسمائها وعواصمها دون أن نراها بأعيننا.

قال: يجب أن أرى الخالق بنفسي حتى أؤمن به.

قلت له: لو ظهر لك صوت وصورة من السماء وقال لك أنا الخالق، هل هذا كاف بالنسبة لك؟

قال: نعم.

قلت له: وما يدريك أن هذه الصورة وهذا الصوت هو فعلاً من الخالق؟ فمن الممكن أن يكون من الشيطان. فكيف لك أن تثبت أنه فعلاً الخالق؟

قلت له أيضا: صف لي أنت أولاً شيئًا غير مادي مثل "الفكرة". أعطني وزنها بالجرامات، وطولها بالسنتيمترات وتركيبها الكيميائي ولونها وضغطها وشكلها وصورتها. من زرع في الإنسان العقلانية والمشاعر والأفكار والقناعات؟ ممسك هذه المفاهيم وزارعها في الإنسان هو أيضا غير مرئي. نحن نؤمن بكل هذه المفاهيم دون أن نراها وهي التي سوف نكمل بها الحياة بعد الموت حين فناء الجسد الدنيوي. وحامل هذه المفاهيم أقرب إلينا من أنفسنا ومن عقلانيتنا ومن قناعاتنا. ولهذا فإن وجود الوسطاء من قساوسة وقسيسين لا معنى له لأن الخالق أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو يحول بين المرء وقلبه.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (الأنفال:٢٤)

وقال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (ق:١٦)

قلت له مستطردة: لقد اشترينا الذهب والفضة وأيقنا بأنها ذهب وفضة بمجرد حصولنا على الشهادات التي تؤكد ذلك، دون أن نتأكد بأنفسنا.

قال: هذه أمور يسهل تجربتها حسيًا. وأنا لا أصدق بشيء إلا عندما أجربه بنفسي.

قلت له: أثبت لي بالتجربة العملية وجود عقلك.

قلت له أيضًا: هل جربت بنفسك وتأكدت من وجود الإلكترونات؟ لقد صدقت بوجود الإلكترونات دون تجربة لأن العلوم تراكمية، فلم نسمع عن عالم فيزياء تأكد من نتائج تجارب العلماء الذين جاءوا قبله، بل يستكمل عمله معتمدًا على معلومات هؤلاء العلماء السابقين. فالمعلومة عندك ليس عبارة عن مصدر مستقل بل هو تابع للعلم بالضرورة. متى جاءت المعلومة من المختص (كالدواء من الطبيب والعلم من العلماء والوحي من النبي) بعد ثبوت كل هؤلاء، فمعلوماتهم تشكل معرفة تُأخذ بعين الاعتبار.

إن معيار صحة الخبر والوحي الصادق كما لخصتها في محاضراتي: ألا ينسب الخبر (الوحي) إلى مصدر وجود الكون صفات بشرية أو حيوانية لا تليق بجلاله. لأنه من المنطق أن تكون صفات الخالق مختلفة عن صفات مخلوقاته. ومع أن الخالق مصدر صفاتنا البشرية ولكنه مختلف عنا. فقد صنع الإنسان السيارة وأعطى السيارة صفة الحركة التي هي من صفاته كإنسان، لكن في واقع الأمر السيارة تختلف عن صانعها. فالخالق السميع أعطى البشر صفة السمع لكن يبقى هو ليس كمثله شيء.

ويجب أن يرفع الخبر الصادق (الوحي) من قدر رسول الخالق ويكرمه عن ارتكاب الجرائم والنقائص. يجب أن يكون الخبر الصادق في انسجام مع الطبيعة البشرية. يجب أن يكون في انسجام مع العلم الحديث. ويجب أن يكون محفوظا بلغته الأصلية دون ترجمات ولا نسخ متعددة. فالترجمات المنتشرة في العالم للقرآن الكريم ما هي إلا ترجمات لمعاني القرآن.

قال السائل: حاجة الإنسان للمطر على سبيل المثال وتحقيق المنفعة منه هي ما تجعل الإنسان يعتقد بوجود خالق ومنزل للمطر (مصدر لهذه المنفعة). فبمجرد أن كشف لنا العلم السبب العلمي وراء نزول المطر فهذا ينفي وجود خالق.

قلت له: إذا كنت تسير في الطريق ووجدت سيارة نقل عمومي، وأردت الاستفادة منها، هل استفادتك من وجود هذه السيارة واكتشافك لآلية عملها دليل على عدم وُجود صانع أصلاً لها؟ أم أن لسيارة النقل العمومي وجود حقيقي ولها صانع؟ إن وجود الفائدة لا ينفى وجود الشيء، بل يُؤيده.

قلت له أيضًا: عندما ينفذ حكم الإعدام بالصعق الكهربائي على قاتل صديقه، فما السبب وراء موت هذا المجرم؟ هل ترى تناقض بين حقيقة الغاية الحقيقية وراء ارتكاب الجريمة وهي السبب الأساسي للحكم عليه بالموت، وبين الوسيلة التي مات بها وهي حقيقة أنه مات بسبب الصعق الكهربائي؟

الخالق هو من وضع قوانين الكون. فليس من حقك أن تلغي وجود الكاتب بمجرد اكتشاف الكتاب. والإيمان بالله لا يدفعنا إلى انكار العلة السببية.

الله تعالى يقول في القرآن عن نزول المطر:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الأعراف:٥٧)

ويقول: اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِۦ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (الروم:٤٨)

والخالق هنا يذكر لنا علل سببية لنزول المطر لكن الإيمان بالله يدفعنا أيضًا إلى الإيمان بالعلة الغائية دون انكار العلة السببية ودون تعارض بين وجود كليهما. والعلة الغائية هي أن الخالق أيضًا هو من يسير الكون ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن في هذا الكون إلا بتدبيره وكل شيء يحدث في هذا الكون بأمره وحكمته. فلا تعارض بين الإجابتين. فحينما يبدو أن الطبيب هو الذي يشفي والطعام هو الذي يشبع والماء هو الذي يروي والسم هو الذي يقتل، فإنما هي الأسباب تفعل في الظاهر، والله من وراء الأسباب يفعل في الحقيقة. هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[٣].

وقلت له متعجبة: كيف يمكن لإنسان فاقد البصر من التحقق من وجود الشمس؟ بالبصر أم بالبصيرة؟ فقط في الإلحاد الإيمان بالله خرافة، أما الإيمان بأن اللاشيء جاء بكل شيء حقيقة!!

وقلت أيضا: الكلام بحد ذاته معجزة دالة على وجود الخالق. فالكلام عبارة عن ألفاظ وتعابير لغة يتواصل بها الإنسان مع غيره من جنس الإنسان. وحسب الإلحاد فكل شيء في الوجود يعود للمادة. فهل المادة أو المسبب الأول حسب اعتقادكم شيء متكلم أم صامت؟! لو كانت المادة تتكلم لأخبرتنا عن نفسها ولأخبرتنا أنها هي المُسببة لهذا الوجود كله، لكنها لم تُخبرنا بذلك فكيف ننسب لها شيئاً لم تعترف به؟!

ومادامت المادة أو المُسبب الأول عاجز عن الكلام فكيف يوجد مخلوقات قادرة على الكلام كالإنسان؟! كيف للشيء أن ينتج لنا شيئاً لا يملكه؟! هذا مُحال، ففاقد الشيء لا يعطيه.

تذكرت أثناء حواري مع السائل ما قرأته يومًا ولفت انتباهي[٤].

قلت له: الوجود والعدم إذا وُجد أحدهما انتفى وجود الآخر. فمن هو الأصل، الوجود أم العدم؟

---

٣ كتاب ما وراء بوابة الموت. الدكتور مصطفى محمود.

٤ الباحث عن الحقيقةFacebook

قال: لنفترض أن العدم هو الأصل.

قلت له: في هذه الحالة، كيف استطاع العدم الذي هو الأصل أن يتحول إلى الوجود؟ تناقض هذا الافتراض لذاته يدحض هذا الاحتمال تمامًا.

قال: قد يظهر شيء من العدم بناءً على نظرية الفراغ الكمي.

قلت له: يجب أن تفرق بين الفراغ والعدم. الفراغ يقتضي وجوده زمان ومكان وطاقة. أنا أتكلم عن عدم، حيث لا مكان ولا زمان ولا طاقة. هكذا: لو كان العدم هو الأصل، لم يوجد شيء، وبما أنه يوجد موجودات، فالأصل هنا من المحال عقلاً أن يكون هو العدم. وبهذا الدليل ثبت بشكل عقلي قاطع أنه لا يصح أن يكون العدم هو الأصل، بالتالي فقد ثبت بشكل عقلي قاطع أيضًا: أن الأصل هو الوجود لأن الوجود نقيض العدم.

وقلت أيضًا: لا يحتاج وجود الأصل إلى تعليل، لأنه متى احتاج وجوده إلى تعليل فلن يصبح أصل.

قلت له مستطردة: إذا كان الوجود هو الأصل لا محالة، فهل يمكن أن يكون لهذا الأصل بداية؟

قال: إن ما كان وجوده هو الأصل لا يصح عقلاً أن يكون لوجوده بداية، لأن ما كان لوجوده بداية فلا بد أن يحتاج في وجوده إلى سبب أوجده.

قلت له: تحليل رائع. إذًا فإن الأصل ليس له بداية أو نهاية وإلا ما كان أصلاً بسبب التناقض العقلي. إذًا فالأصل أزلي.

قلت له أيضًا: جميع موجودات الكون التي ندرك وجودها بحواسنا لم تكن موجودة ووُجدت. وهي عرضة للتحول، التغير، الزيادة والنقصان. ولقد كانت أجزاء الكون برمتها في طي العدم ثم وُجدت. وحيث إنها عُرضة للتحول، ولزوم وجود الأسباب لهذه التغيرات، فلقد لزم عقلاً أن يكون لها موجد. أن الأصل في الأشياء المحسوسة هو العدم. وحيث إن الأصل في جميع هذه الأشياء الكونية العدم، وجب عقلاً أن يكون لها سبب مؤثر نقلها من العدم إلى الوجود. إن الوجود يجب عقلاً أن يكون هو الأصل. وما كان وجوده هو الأصل استحال أن يكون له بداية، وهذه الأشياء الكونية المدركة بحواسنا يكون الأصل فيها هو العدم، فيحتاج وجودها إلى سبب. ولا بد عقلاً من وجود موجد عظيم، وجوده هو الأصل في الكائنات وعدمه مستحيل، لذلك فهو واجب الوجود عقلاً. وهو الخالق سبحانه وتعالى.

مما قرأت وأحببت أن أذكره[٥]: في بداية القرن العشرين كان عالمنا على موعد مع انقلاب شامل لعلوم الفلك التي توارثتها الأجيال المتعاقبة لقد كان الاعتقاد الثابت منذ عصر الفلاسفة اليونانيين وحتى هذا العصر أن الكون ثابت.

وأن الأجرام السماوية كانت كما هي عليه الآن وستبقى كذلك. حتى ذهب البعض إلى تقديس هذه الكواكب الأزلية والزعم أنها تتصرف في الكون وأقدار الناس. وكان هذا التصور يمثل طوق انقاذ للفكر الالحادي الذي ادعى أن هذا الكون أزلي بناءً على هذا التصور.

وبالرغم من أن هذا الإدعاء لا يستقيم منطقيًا لأن الزمان الذي نعيش فيه يستحيل أن يكون أزليًا، وإنما لابد أن يكون مخلوق وله بداية، إلا أن التمسك بنتائج علم الفلك كان بمثابة الراية التي اجتمع تحتها معظم الملحدين. ولكن مع بداية القرن العشرين قام الفيزيائي وعالم الرياضيات الروسي (ألكسندر فريدمان) بأبحاث أثبتت من خلال التطرق لنظرية النسبية العامة أن الكون لا يمكن أن يكون ثابتًا أو مستقرًا، وإنما هو متحرك بالضرورة، إما بالتوسع أو النقص. ثم أثبت بعده عالم الفلك (جورج لومتير) اعتمادًا على كشف (فيستو سيلفر) لظاهرة "الإنزياح نحو الأحمر" سنة ١٩١٢م أن الكون يتوسع.

ثم كانت أبحاث (آدوين هابل) الأبرز في الدلالة على تأكيد القول بتمدد الكون، فقد كشف في عشرينيات القرن العشرين بعد عمله الرصدي بتلسكوب "جبل ويسلون" وحساباته الرياضية أن الكون يتمدد بقيمة ثابتة. لتأتي الضربة التالية من اينشتاين نفسه بعد أن أعلن خطأه بوضع الثابت الكوني في نظرياته لجعل الكون ثابت. بل وأعلن أن هذا أكبر خطأ علمي ارتكبه في حياته. لتأتي الضربة القاضية والتي أذعن بعدها كل العلماء على أن للكون بداية وأنه يتوسع بأكتشاف إشعاع الخلفية الكوني في منتصف القرن العشرين.

وتوالت الضربات تلو الضربات لنظرية الكون الثابت حتى أتت الضربة من مرصد هابل الفضائي وأصبح الرصد التجريبي البصري في صف نظرية تمدد الكون. ليقول الفلكي الانجليزي الملحد (ارثر ادنغتون): " ليس لدي أي فأس للطعن في هذه المناقشة (لكن) مفهوم البداية بغيض لي. أنا ببساطة لا أؤمن أن النظام الحالي للأشياء قد بدأ بانفجار، وتوسع الكون غير معقول. لا يصدق. يتركني أشعر بالبرد"[٦].

---

[٥] العلم يؤكد الدين Facebook

[٦] العلم يؤكد الدين Facebook

ويقول الفيلسوف الملحد (ويليام رو): "لابد من الاعتراف بأن ظهور نظرية الانفجار الكبير المتعلقة بنشأة الكون إن صحت، قد أضافت ثقلاً جديدًا إلى حجة وجود ما يمكن أن يكون خالقًا"[٧].

في حوار لي مع أسرة بريطانية من أب وأم وبنت مراهقة عن حتمية وجود خالق للكون، كان قد لفت نظري ايمان البنت الشديد بوجود الخالق، وتردد ملحوظ عند الأم وشكوك كثيرة، وإصرار شديد من الأب على دحض فكرة وجود خالق للكون. أذكر من ضمن النقاط التي كانت مطروحة للنقاش هي فكرة نشأة الكون من العدم. والتي كان يدافع عنها الأب بشراسة.

قلت له: هل يأتي شيء من لا شيء؟

فاجأني قائلاً: نعم، لقد قالت نظريات ميكانيكا الكم هذا.

حمدت الله أنني كنت قد قرأت عن هذه النقطة مسبقًا في مقال جميل ومفيد مما سهل علي الرد عليه[٨].

قلت له: وكيف لك أن تكون متيقن من هذه النقطة مع اعترافك الكامل أنها نظريات ولم تثبت بعد؟ على أي حال، أنت تخلط بين الفراغ واللاشئ. الفراغ الكمي – حسب ميكانيكا الكم – يعتبر شيئًا موجودًا ممتلئًا بجسيمات افتراضية من المادة والمادة المضادة، ويحدث فيه تموجات. ومن هذه التموجات يمكن أن تتخلق أزواج من الجسيمات والجسيمات المضادة، ولا يمكن فصل هذا الفراغ الكمي عن الكون. أما الناشئ أو العدم فلا علاقة له بالوجود أو اللاوجود. اللاشئ يعني: عدم وجود أيُّ شيء تمامًا؛ لا مادة ولا طاقة، ولا زمان ولا مكان. ونحن نعلم أن الشيء هو ما يُتصور أو يُخبَر عنه، ويراد به أساسًا الموجود ويقابل المعدوم. اللاشيء لا يمكن أن يُنتج شيئًا، ولا يمكن لشيء أن يأتيَ من العدم، وفاقدُ الشيء لا يعطيه. فكيف يمنح العدم الوجودَ؟! وكيف يمنح اللاشيء شيئًا؟! الفعل لا بد أن يكون له فاعل. وأي حدث لا بد أن يكون له مُحدِث. وأي أثر لا بد أن يكون له مؤثر.

قال: أغلب الناس تعتبر الفضاء الفارغ لا شيء.

قلت له: إذا فرضنا تجريد المكان من الإشعاعات والجزيئات والجسيمات والمادة، فالمكان الذي كان يحوي هذه الأشياءَ التي جُرِّدت منه ما زال موجودًا، وهو شيء موجود وليس لا شيء، وإن كان ليس بشيء ماديٍّ. والفراغ ليس معناه اللامكان، بل معناه مكان جُرِّد من الإشعاعات والجزيئات والجسيمات والمادة.

---

[٧] العلم يؤكد الدين Facebook

[٨] مقال للدكتور ربيع أحمد. مغالطات أكذوبة أن الكون نشأ من لا شيء بدون الحاجة إلى خالق.

قلت له أيضًا: الزمان والمكان والفراغ الكمي وُجدوا بعد نشأة الكون، وعليه؛ فدعوى أنَّ الكون نشأ من تذبذبات كومية في الفراغ الكمي دعوى باطلة. وحسب مبدأ "عدم التأكد" لهيزنبرج؛ يستحيل أن يخلو الفراغ من الطاقة. وأنه سيبقى حد أدنى من الطاقة لا يمكن النزول عنه، ولا يمكن أن تصل الطاقة إلى صفر، وهذا القدر من الطاقة يعتبر شيئًا من ضمن الأشياء. مع العلم أن المادة والطاقة يمكن اعتبارهما صيغتين مختلفتين لجوهر واحد، قابلتين للتحول من إحداهما إلى الأخرى.

قال: أصل الكون هو الطاقة.

قلت له: فمن الذي أوجد هذه الطاقة؟ ومن الذي حوّل هذه الطاقة إلى مادة؟ ومن أوجد الزمان والمكان؟

قال: قوانين الطبيعة.

قلت له: ومن سن قوانين الطبيعة؟ نشأة الكون تحتاج: مادة لينشأ منه. منشئ للمادة التي ينشأ منها الكون. منشئ للكون.

قال: الذرة والجسيمات تحت الذرية نفسها.

قلت له: وكأنك تقول إن الذرة والجسيمات تحت الذرية وضَعت القوانين لنفسها قبل أن تُوجَد، وهذا مُحال.

قال: القوانين وضعت نفسها.

قلت له: هذا تصويرٌ للقوانين على أنها فاعل محرك، وهذا لا يقول به عقل؛ لأن القوانين مجرد وصفِ سلوكٍ لظاهرة في الكون، يتكرر تحت نفس الظروف. ومن البديهيات أن وجود قانونٍ ما يدل على وجود واضع لهذا القانون. وواضعُ القانون (الفاعل) لا بد أن يَسبق القانونَ (المفعول)، وإذا كانت ميكانيكا الكم لها مجموعة من القوانين، فلا بد أن يكون لهذه القوانين موجد. فَمَن الذي فرَض وسنَّ هذه القوانين؟

ولو افترضنا جدلا أن المادة أزلية، والطاقة أزلية، فإننا لا زلنا بحاجة إلى إرادة لإنشاء الكون. فعلى سبيل المثال: إن توفر الماء والشاي والسكر والكوب داخل مطبخ معين فلن يتكون كوب الشاي إلا بوجود شخص أراد أن يصنع الشاي.

ومن يعتقد أن قوانين ميكانيكا الكم تستطيع أن تسبِّب شيئًا من الأشياء كَمَن يعتقد أن القوانين الحسابية يمكن أن توجد مالًا، وكَمَن يعتقد أن القوانين التي تَعمل بها السيارة يمكن أن تَخلق السيارة. من سن هذه القوانين إنما هو شيء خارجٌ عن الذرة والجسيمات تحت الذرية، ونحن نقول: إنه الخالق. ولا يمكن لقوانين ميكانيكا الكم أن تُنتج شيئًا للوجود. ولا يمكن لقوانين ميكانيكا الكم أن تنتج حدثًا من الأحداث؛ بل غاية قوانين ميكانيكا الكم تفسير الظواهر التي تحدث على مستوى الذرة والجسيمات تحت الذرية، بعدما أوجدَتها الأسباب.

والقضية ليست نشأة الكون فقط؛ إذ بعد نشأة الكونِ بحاجة إلى حفظ ورعاية، فمن الذي يُحافظ عليه ويرعاه؟ ومن الذي جعل الكون مستمرًا في الوجود؟ ومن الذي جعل الكون صالحًا لحياة البشر وسائر الكائنات الحية؟ ومن الذي جعل الكائنات الحية تنمو وتتكاثر؟ ومن الذي وضع فيها القابلية للنمو والتكاثر؟

ومن الذي وضع غريزة في الذكَر للأنثى، وغريزة في الأنثى للذكر؟ ومَن الذي خلق للذكر أنثى وللأنثى ذكرًا؟ ومن الذي أعطى لكل كائن حي ما يُصلحه في حياته، وكأن الكون معَد له قبل أن يوجد على الأرض؟ ومن الذي علَّم الكائن الحي كيف ينتفع بالشيء الذي يُصلحه في حياته خاصة الكائنات الحية الأولى؟! إنه في الواقع بدون الخالق وقوانين الخالق لن يجد العلماء ما يدرسون ويقيموا تجاربهم عليه. وسؤال من خلق الخالق؟ هو كسؤال من خبز الخباز؟ فهو لا يصح ولا يستقيم.

عُلوّ الخالق & الحقيقة المطلقة (أسطورة العميان والفيل)

في صدد اهتمامي بمفهوم الحقيقة المطلقة، والذي هو التصور الذي يطابق الصحيح، فاجأني زميل لي بمعلومة كنت أجهلها. حيث قال: أن مفهوم الحقيقة المطلقة لكل هندوسي وبوذي وغيرها من الديانات الوثنية هو خالق الكون نفسه. لقد لفتت نظري هذه المعلومة والتي يؤيدها الواقع الحالي لأتباع هذه الديانات أو الفلسفات، والذين بمجرد شعورهم بالخوف الشديد ترتفع أياديهم إلى الأعلى دون أن يشعروا، لاجئين إلى القوة التي في السماء لنجدتهم. فوجود القيمة العليا التي تحمل صفات أعلى من صفات البشر، والتي هي مصدر وجود البشر، والتي سوف تحاسِب البشر على أفعالهم، هي حقيقة لا مفر منها حتى لو أنكرها جميع البشر.

ليس كمثله شيء:

قال الخالق مخبرًا عن نفسه: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى:١١)

يقول ابن القيم: قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ من دلائل كثرة صفات الخالق.

لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام:١٠٣)

وقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ من أقوي الدلائل على أنه يَرى ولا يُدرَك.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (الحديد:٤)

وقوله تعالى: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ من أقوى الدلائل على اختلاف الرب عن خلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم مستقلين عن ذاته، ثم اختلف عنهم باستوائه على عرشه. وهو يعلم ما هم عليه فيراهم ويحيط بهم علمًا، قدرةً، إرادةً، سمعًا، وبصرًا. وهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا.

وعند تأملنا في هذه المقارنة لفظًا ومعنى وبين قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ - وهو يُدْرِكُ الأبْصار، فنجد أنه سبحانه لعظمته يتعالى على أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك هو الأبصار. فلا تخفى عليه خافية، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قيمة عليا:

تتعالى الأصوات اليوم بالمطالبة باعتماد صحة جميع ديانات الأرض، واعتماد جميع تصورات البشر عن خالق الكون. ويتنافس البشر اليوم على إثبات عدم علو خالق الموجودات على خلقه، أو إثبات حلوله في خلقه (تجسده في مخلوقاته). فمن أراد أن يتصور أن الخالق شجرة فتصوره صحيح، ومن أراد تصور الخالق حشرة فهو صحيح حسب زعمهم. تعالى الخالق عن ذلك علوًا كبيرا.

يقول شيخ الإسلام: "والعقل دلَّ على أن الله تعالى فوق العالم".

منذ نعومة أظفارنا ونحن معنيون بوجود قيادة عليا في كل مكان. للأب قيادة المنزل. لمدير المدرسة قيادة المدرسة. لكابتن الطائرة والباخرة قيادة الطائرة والباخرة. في المجمعات التجارية نبحث عن المسؤول. لا يوجد عرض مسرحي أو فيلم سينمائي دون شخصية محورية تدور حولها القصة. ونسمع عما يطلقون عليه معبود الجماهير في مسابقات عالمية في مجالات الغناء والطبخ والرقص تعج بها البرامج التلفزيونية. ومن هذا المنطلق الذي يؤيد حاجة البشر إلى مصدر أعلى وأسمى من الجميع، رفع فرعون صوته أيضًا وهو ظالم لنفسه عابدًا لها قائلاً: أنا ربكم الأعلى.

ومع كل ذلك، لا زلنا نسمع أصوات تنادي بنفي أو بتشويه حقيقة وجود قوة عليا منظمة للكون، يلجأ إليها الجميع. فإننا حقًا إن لم نعبد الإله الحق (الخالق) فسينتهي بنا المطاف بعبادة آخرين. وعبادة الخالق الإله الحقيقي تحررنا من العبودية لمن سواه بما فيها عبادتنا لأنفسنا.

الحقيقة المطلقة:

في أسطورة هندوسية (العميان والفيل) كنت قد تناقشت عنها مع زميل لي في العمل، وما يقابلها من أسطورة بوذية (العميان والتمثال)، دائمًا ما يُستدل بها على صحة جميع ديانات وفلسفات الشعوب عن حقيقة مصدر وجودهم والتصور لصفات هذا المصدر. والهدف الصريح من هذا الاستدلال هو تجنب البشر بكل ما أوتوا من قوة أن يستسلموا للخالق بصفاته الحقيقية

التي شرحها لنا من خلال الوحي. يريدون مقاومة الاستسلام لمصدر وجودهم ولاستعلائه عليهم. لكن هل هذه الأسطورة تؤيد صحة جميع الديانات فعلاً، أم أنها دليل على عدم صحتها أصلاً؟

دعونا نرى.

يحكى أن ستة عميان تناهى إلى سمعهم أن فيلاً كبيرًا سوف يُؤتى به إلى بلدتهم بمناسبة الاحتفال السنوي. فذهب الستة إلى حاكم البلدة وطلبوا منه أن يسمح لهم بلمس الفيل لأول مرة في حياتهم!! فهم دائمًا ما يسمعون عن الفيل ومدى ضخامته، لكنهم لم يتصورا شكله قط. لم يمانع الحاكم إطلاقًا إلا أنه اشترط مقابل ذلك أن يصف كل واحد منهم الفيل في جملة واحدة!! وفي يوم الاحتفال وبحضور أهل البلدة أحاط الرجال الستة بالفيل وبدأ كل واحد فيهم بلمسه من مكان وقوفه. وبعد ما انتهوا من معاينة الفيل قام كل واحد بوصف الفيل أمام الحاكم وبحضور حشد كبير من العامة فجاء الوصف كالتالي:

الأول قال: الفيل أقرب ما يكون إلى الحبل.

وقال الثاني متعجبًا: أين الفيل وأين الحبل؟ بل هو مثل الحائط تمامًا.

ضحك الثالث ثم قال: يا لها من سخافة حبل وحائط!! كيف هذا والفيل لا يخرج عن كونه خنجر كبير!

وقال الرابع متهكمًا: ما تقولونه هراء وما يقوله الناس عن ضخامة الفيل هراء أيضًا. فقد كنت أشتاق لمعرفة الفيل وصدمت حينما وجدته مجرد ثعبان بدين غير سام!!

وقال الخامس ساخرًا: ما كل هذا الهذيان الفيل عبارة عن مروحة يدوية مصنوعة من الجلد!!

وقال السادس مقهقهًا: يبدو أنكم لمستم شيء آخر غير الفيل، فالفيل ما هو إلا جذع شجرة!!

ويتضح لنا من هذه الإجابات المختلفة أن:

الأول قال إن الفيل يشبه الحبل لأنه لمس الذيل فقط.

والثاني قال إن الفيل كالحائط لأنه لمس الجسم فقط.

والثالث قال إن الفيل كالخنجر لأنه لمس الناب.

والرابع قال إن الفيل كالثعبان لأنه لمس الخرطوم.

والخامس قال إن الفيل يشبه المروحة لأنه لمس إحدى الأذنين.

والأخير قال إن الفيل كجذع الشجرة لأنه لمس القدم.

مما قرأت وأعجبني كتعليق على هذه القصة[٩]:

العميان الستة استخدموا: العقل. التجربة العملية، الحس والفلسفة. فجاءت التجربة قاصرة بقصور هذه المفاهيم جميعها. وادراكنا نحن رواة هذه القصة أن هؤلاء العميان على خطأ لأننا ببساطة نرى المشهد من الخارج بنظرة شاملة.

إن الفرق بين النظرة الصحيحة الشاملة واجتهاد العميان هو تمامًا كالفرق بين العقل والحس والفلسفة والتجربة العملية وبين الوحي الإلهي. إن العقل والحس والتجربة العملية والفلسفة يقدمون معرفة قد تكون نافعة ولكنها قاصرة بقصور قدراتنا وحدود امكانياتنا. بينما يحكم الوحي الإلهي على المشهد من خارجه فيعطي أحكامًا كلية وشمولية.

فالوحي يخبرنا ب: صفات مصدر الوجود الحقيقية. غاية وجودنا. معنى وجودنا. ما وراء وجودنا. بينما العقل والحس والتجربة العملية والفلسفة فلن يقدموا أي جواب عن غاية الوجود ولا مصدر الوجود أو القيمة. ولو حاولوا الإجابة لكانت الإجابة كإجابة العميان بعيدة كل البعد عن الواقع.

يمكن للعقل والتجربة العملية والحس والفلسفة تقديم أجوبة دنيوية لحاجات دنيوية قاصرة مثل: أفضل طعام. أفضل شراب. أفضل طريقة للتجوال حول العالم. أفضل حل لمعادلة رياضية. لكن تبقى هذه الأجوبة هي أجوبة الحيز الدنيوي الضيق المادي المحيط بنا. وحتى لو قدم العقل والحس والتجربة العملية والفلسفة أجوبة عن غاية الوجود، فلن يستطيعوا تقديم تعريف صحيح عن الأخلاق والمتعة، أو القيم الجمالية أو الصواب والخطأ. فلا توجد معادلة رياضية تضع رموزًا لمعاني الخيانة أو الأمانة.

والمبادئ الأخلاقية مستمدة من الفطرة المتفقة مع التكليف الديني، وليست مستمدة من النشاط الدماغي. ولهذا فإنه لا غنى للإنسان عن الوحي الإلهي عن طريق الرسل.

عنادا واستكبارا:

يقول ابن تيمية[١٠] بما معناه إن جحود الإنسان وعدم تقبله لاسم الله الأعلى وعلو سلطة الله عليه تعود لسبعة أمور: الهوى، أي اتباع الرغبات، الشك، الظن، العادات، الغرض الفاسد بفساد النية، الاتباع الأعمى وموروث الاعتقاد.

---

٩ د. هيثم طلعت. كتاب الهندوسية في ميزان تعاليمها الأصلية والعقل والفطرة السليمة.

١٠ عالم مسلم.

ومن البشر من ينكر علو الخالق مطلقًا، ويقول: ليس فوق العالم شيء أصلاً، ولا فوق العرش شيء. ومنهم من يقول: الخالق ليس داخل العالم ولا خارجًا عنه، ولا حالًّا فيه، وليس في مكان من الأمكنة. وكثير منهم يقول: لا هو داخل العالم ولا خارجه.

وفي حال عبادتهم للخالق يقولون بأنه في كل مكان، ولا يخلو منه شيء، حتى يصرحون بالتجسد في كل موجود – من الحيوانات وغيرها – بل بالاتحاد بكل شيء، بل يقولون بالوحدة التي معناها أن الخالق عين وجود الموجودات. وجميع هذه التصورات تبقى كتصورات العميان في القصة السابقة. فالخالق جل وعلا هو الرب الأعلى الذي يعلو على مخلوقاته.

يعلل ابن تيمية سبب تناقض البعض في تصوراتهم عن الخالق فيقول بما معناه: وسبب ذلك أن الدعاء والعبادة، القصد، والإرادة، والتوجه يطلب موجودًا، بخلاف النظر، والبحث، والكلام.

ويقول: إن العلم، الكلام، البحث والقياس، يتعلق بالموجود، والمعدوم. فإذا لم يكن القلب في عبادة، توجه، ودعاء، سهل عليه نفي صفات الخالق أو سلبها، والإعراض عن اثباتها. بخلاف ما إذا كان في حال الدعاء والعبادة فإنه يطلب موجودًا يقصده ويسأله ويعبده.

وقد ذكر دلائل على علو الخالق قائلاً بما معناه:

إن هذا أمر مستقر في فطرة بني آدم، معلوم لهم بالضرورة. وأن لجوئهم إلى ربهم عند الحاجات التي لا يقضيها إلا هو، - في دعاء العبادة ودعاء المسألة – إنما يكون إلى جهة العلو. فكما أنهم مضطرون إلى دعائه ومسألته، هم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه، لا يتوجهون إلى غيره من الجهات. وحتمية علو الخالق متفق عليها بين العقلاء سليمي الفطرة، وكل منهم يخبر عن فطرته من غير اتفاق بين بعضهم البعض. لكنهم قد يتفقوا على تعمد الكذب عادة. وأنه إذا ثبت أن العالم كرة، فلا بد أن يكون الخالق مباينًا لخلقه، والعلو المطلق يكون فوق الكرة، فيلزم أن يكون الخالق في العلو.

بين القوة والذات الإلهية

يقول الفيزيائي ألبرت آينشتاين: "نحن أشبه بطفل صغير داخل مكتبة ضخمة مليئة بكتب متعددة اللغات، وبينما يعلم الطفل أن شخصًا ما -لا بد- قد كتب هذه الكتب، ولا يعلم كيف كُتِبَتْ ولا يفهم اللغات التي كُتِبَتْ بها؛ يَشْتَبِه الطفل بشكل ما بنظام غامض في ترتيب هذه الكتب لكنه لا يعرف ما هو. ذلك يبدو لي هو موقف أذكى إنسان تجاه الإله!"

سألتني سيدة لاتينية يوما: ما حاجة البشر لوجود خالق؟

أجبتها: حاجتنا لوجود خالق هي كحاجة السيارة لوجود الطريق. الخالق هو الركيزة الأساسية لكل شيء، الركيزة الأساسية للتواصل بين الناس، لضمان أن الحقيقة حقيقة فإن نُسِي الخالق ركيزة الكون كلها تنتهي[١١].

سألت: كيف أتت للخالق فكرة أن يخلقنا؟

أجبتها: وهل تستطيعين أن تسألي سؤالا مثل: كيف ومتى تبلل الماء؟ بالطبع لا. فالبلل هي طبيعة الماء. وللخالق المثل الأعلى، فهو الخالق والرازق والرحيم وغيرها من الصفات الأزلية لديه، فهو بطبيعته خالق، فهو يخلق باستمرار كالكريم على سبيل المثال الذي يعطي ويساعد غيره، فهو ببساطة يظهر صفاته من خلال أعماله.

قالت: كيف يمكن أن نفسر ظهور الكون من العدم؟ فقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أن الكون إما أن يكون جزءا من الذات الإلهية، أو من النور الصادر عن الذات الإلهية. كيف يساعدنا الخالق دون أن يكون جسديا معنا في كل مكان؟ في داخل كل إنسان جزءا من الخالق، وهي الروح التي يشترك بها جميع البشر.

قلت لها: لقد خلق الخالق الكون من العدم بقوته وقدرته، والكون ليس جزءا من الذات الإلهية.

فالإنسان، على سبيل المثال، يملك ذات، وهي النفس البشرية، ويملك قوة صادرة عن الذات البشرية ومستقلة عنها. فعندما أرغب أن أنقل قوة من عندي، على سبيل المثال، لأي شخص آخر، فيمكنني في هذه الحالة الضغط على نابض (زنبرك حديدي)، ومن ثم ربط هذا النابض ونقله إلى مكان آخر، أو أن أعطيه لشخص آخر، والذي يقوم بدوره بفك الرباط عن هذا النابض والاستفادة من الطاقة أو القوة التي تم تخزينها في النابض.

فأنا في هذه الحالة لم أقتطع جزءا من ذاتي لإعطاء القوة لشخص آخر. وكذلك النحاتون أو الصناع الذين يصنعون الأدوات وغيرها من الأجهزة والآلات، فهم استخدموا قوتهم وعقولهم في إيجاد هذه الأشياء دون الحاجة لأن يقتطعون شيئا من أجسادهم.

وللخالق المثل الأعلى، فبقوة الخالق وقدرته يمكنه أن يخلق من العدم، أو يعطي القوة لأحد من مخلوقاته دون الحاجة لأن يقتطع جزءا من ذاته. فالخالق مستقل بذاته عن المخلوقات، وهو يمنحهم القوة والإرادة، وكذلك يزرع في نفوسهم من الصفات الربانية كالحكمة والكرم والحلم والتعقل وغيرها، وهي الروح التي بثها الله في النفس البشرية. فالأساتذة يقومون بنقل العلم والمعرفة للطلاب دون الحاجة لأن يقطعوا جزءا من أجسادهم.

---

[١١] من أقوال الدكتور عبد الوهاب المسيري.

قلت لها أيضا: إن قلت لك أنني سوف أعطيك من مالي، فهذا لا يعني أن مالي جزءا مني، ولكن هذا يعني أنني أملك هذا المال. أنا أعطيك مما أملك.

فالخالق منفصل عن البشر، والبشر منفصل بعضهم عن بعض، ولكل إنسان روح مستقلة، والكون منفصل عن الخالق وعن البشر.

لقد أثبت العلم الحديث أن المادة في أصلها عبارة عن طاقة، ولكنها مخزنة (محبوسة) في نواة الذرة. ولو قدر لهذه الطاقة الانفلات من نواة الذرة لتبددت المادة وزالت، ولكان قد تطلب ذلك قوى هائلة لإرجاع هذه الطاقة إلى داخل النواة لإعادة بناء المادة. وحيث إن مادة الكون عبارة عن ذرات، وان كل ذرة تحوي (تحبس) في داخل نواتها على طاقة كبيرة بكثافة عالية، وأن هناك قوى هائلة تمسك وتبقي على هذه الطاقة محبوسة داخل أنوية الذرات.

وبالتالي المحافظة على ثبات المادة من الفناء والزوال. وخير مثال على ذلك ما يحدث في واقعنا الحالي- لو قدر لهذه الطاقة بالخروج – ما نشاهده في الانفجار النووي من تحرير لهذه الطاقة والسماح لها بالخروج من نواة الذرة من خلال التصادم. وهذا فقط يحدث عند زوال وتحول جزء ضئيل جدا من المادة.

فلنا أن نتخيل القوى الهائلة المطلوبة لإرجاع هذه الطاقة النووية مرة أخرى إلى داخل نواة الذرة لإعادة بناء الجزء الضئيل جدا من هذه المادة. وحيث إن وحدات بناء (لِبنات) السماوات والأرض هي الذرات، فإن زوال الذرة يكون بخروج الطاقة من نواتها. ونجد ذلك بوضوح في سورة فاطر:

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (فاطر ٤١)

الإعجاز هنا في اختيار لفظ " يُمْسِكُ " ولفظ "تَزُولَا ". فإن الآية تشير إلى أن الخالق يمسك بقدرته هذه القوى ويحافظ على ثبات وتماسك مادة السماوات والأرض من الزوال. نفهم مما سبق أن المادة في أصلها عبارة عن قوى شديدة التركيز في حيز ضئيل جدا وهي الذرة. وهذا يقودنا إلى أن القوى التي خلق الله بها السماوات والأرض والتي يستفيد منها المخلوقات من خلال تحرير هذه القوى في مجالات مختلفة أو تحويلها من شكل لآخر أو نقلها من مكان لأخر (الحول) هي في أصلها يعود لمصدر واحد وهو: لا حول ولا قوة إلا بالله.

في حوار مع بريطاني يوما قال لي: الخالق موجود في كل مكان بذاته من خلال حلول جزءا من ذاته في بعض مخلوقاته، وذلك لكي يعلم كل شيء عن مخلوقاته، ولكي يستطيع تفعيل صفتي السمع والبصر عنده، ولتصل إرادته إلى كل مخلوق.

قلت له: وللخالق المثل الأعلى: هل صـــانع محرك الســـيارة بحاجة لأن يكون جزءا من آلية عمل المحرك لكي يعلم آلية عمل المحرك؟

قلت له أيضا: جميعنا لديه الهاتف النقال، ومن خلال هذا الجهاز يمكننا الاطلاع على أي معلومة صغيرة أو كبيرة تدور في العالم ولحظيا من خلال نشرات الأخبار. ودون الحاجة لوجودنا بذواتنا في أماكن الأحداث. كما أن التكنولوجيا أمدتنا بوسائل تحكم عن بعد للتحكم بأجهزة وأليات ومصانع كاملة بل وطائرات عن بعد، فإرادتنا تنفذ على هذه الأشياء البعيدة دون الحاجة لوجودنا بذواتنا في أماكن تواجد هذه الأشياء.

لقد قدم دين الإسلام تصورا بسيطا وعقلانيا لهذه المسألة. إن الذات الإلهية مستقلة وتعلو على سائر المخلوقات، وفي نفس الوقت علم الخالق محيط بجميع مخلوقاته، كما أن سمعه وبصره لا يحول دونه شيء، وأن إرادته نافذة في كل شيء. قال الخالق: مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ (فاطر: ١٠)

فالآية الكريمة تشير أن كل عمل أبن آدم الصالح من قول وفعل يصل لرب العالمين ودون الحاجة لنزول رب العالمين بذاته متجسدا في مخلوقاته. غير أن هذا لا يمنع ولا يحد من قدرة رب العالمين أن يفعل ما يشاء وكيف شاء، فله طلاقة القدرة. ولكننا ننزه تعالى عن فعل ما لا يليق بجلاله. قال تعالى:

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (الشورى: ٥١)

فالخالق وحده الذي يحدد كيفية التواصل مع خلقه وهو وحده الذي يحدد وسيلة الاتصال مع أحد من المخلوقات أو البشر من خلال الوحي، أو إرسال رسول، أو من وراء حجاب، كما تشير الآية أعلاه.

قال السائل: وكيف يمكن للخالق أن يكون قريبا في حين أنه غير موجود في كل مكان بذاته؟

قلت له: إن قوانين المسافة والزمن تنطبق على المخلوقات فقط، ولكنها لا تنطبق على الخالق الذي هو خالق الزمان والمكان. الخالق ليس كمثله شيء، ويجب ألا نحاول مقارنة قصورنا به. ونضرب مثلا على استقلالية الخالق واستناد الأشياء جميعا إلى علمه بما لو أمررنا مادة كيماوية معينة على كتاب كُتب بحبر لا يُرى، فإن ذلك الكتاب الضخم يظهر عياناً حتى يستقرئ كل ناظر اليه.

ولله المثل لأعلى. لو قلنا، على سبيل المثال، أن هناك مسافة ١٠ أمتار تفصل بين شخص واقف ونملة تدب على الأرض، فإن هذا الشخص بإمكانه أن يصل إلى النملة في بضع ثواني، غير أن النملة تحتاج لأكثر من ساعة وهي تمشي في خط مستقيم لكي تصل لهذا الشخص. المسافة واحدة غير أن حجم الشخص وإمكانيته تفوق حجم النملة وقدرتها على الحركة. فنحن نقول إن الشخص قريب جدا من النملة ويمكن أن يصل إليها في بضع ثواني. غير أنه من منظور النملة فإنها بعيدة جدا عن الشخص وتحتاج لأكثر من ساعة لتصل إليه.

وبنفس المقياس لو افترضنا أن انسان يريد أن يقطع المسافة من الأرض إلى الشمس مثلا، فإن بحجمه الضئيل سيحتاج إلى سنوات طويلة ليصل إلى الشمس. غير أنه لو قدر للشمس أن تسير في اتجاه الأرض لوصلت إلى الأرض في ثواني معدودة. والسبب بسيط هنا، وهو أن المسافة المطلوب قطعها بالنسبة لحجم الشمس لا يكاد يذكر.

ونضرب مثلا آخر على ذلك بما لو أن شخصا محبوسا في غرفة صغيرة لا يوجد فيها سوى ثقب صغير يطل على الخارج، فعندما تمر قافلة من الإبل من أمام هذا الثقب، فان هذا السجين سوف يشاهد رأس بعير أولا، ثم رقبته، ثم سنامه، ثم أرجله، ثم ذنبه، وهكذا الحال بالنسبة لسائر الإبل الأخرى. وبذلك يصير ذلك الثقب هو السبب في إيجاد حالات من الماضي والحاضر والمستقبل لدى الناظر السجين، لكن المسألة تختلف تماما بالنسبة للواقف على سطح الغرفة، وينظر إلى الصحراء نظرة شاملة، فهو يشاهد جميع إبل القافلة في وقت واحد.

ومن هنا يتضح أن ايجاد مفاهيم الماضي والحاضر والمستقبل ناجمة عن محدودية نظرة الإنسان، فما هو ماض بالنسبة لنا كان مستقبلا لأقوام قد سبقونا، وما هو مستقبل بالنسبة لنا هو الآن ماض بالنسبة لأقوام سيأتون[١٢]. وأن الأشياء الكبيرة المتناهية في الكبر يمكن أن تصل للشيء الضئيل الصغير جدا في الحجم في زمن يكاد لا يذكر. في حين أن هذا الشيء الصغير يحتاج لزمن طويل جدا ليصل للجسم ذات الحجم الكبير. رغم أن المسافة نفسها. ولله المثل لأعلى. فالخالق قريب جدا من مخلوقاته. ولا يعني ذلك أنه جزء من مخلوقاته. وأن البعد الزماني والمكاني هو من منظور المخلوق فقط.

مفهوم التجسد.. إلى أين؟ (أسطورة ال٤٠٠٠ ديانة)

كثيرا ما نسمع من يقول بوجود أكثر من ٤٠٠٠ دين! فيُقال: كيف لنا أن نعرف الدين الحق الصحيح من بين تلك الديانات؟

لنبدأ الرحلة.

نجح رجل اسباني بالاحتيال على سيدة بمبالغ وصلت إلى ٣٠٠،٠٠٠ يورو، بعد أن أقنعها أنه الخالق المتجسد، وعليها إيداع أموالها في بنك الجنة. الإسباني ظل يتواصل مع السيدة العجوز هاتفيًا لأكثر من ١٠ سنوات أقنعها فيها أنه الخالق المتجسد وطلب منها أن تودع أموالها في بنك الجنة بدلاً من بنوك الدنيا. وأخبر الرجل المرأة العجوز أن بنك الجنة موجود داخل متجر في مدينة ليون وطلب منها الدخول إلى المتجر وفتح درج صغير لوضع مالها فيه.

---

١٢ مقتبس من كتاب أسرار الأقدار. أ.د. نور الدين أبو لحية

https://www.aboulahia.com/c١٨.html#_Toc٥٣٧٤٢٧٣٤

فذهبت المرأة لذلك المتجر وفتحت الدرج ووضعت المال، وظلت هكذا لسنوات تزور المتجر وتضع أموالها حتى أفلست. ورغم افلاسها لم يكتف المحتال بذلك، ولكن اتصل عليها وأقنعها أن تأخذ قروضا من البنوك، وفعلاً أخذت القروض وأودعتها في ذلك الدرج الصغير[١٣].

هذه القصة أعادت إلى ذاكرتي اجابة زائرة هندوسية، عندما سألتها عن خوفها الشديد مني عندما كنت أُكلّمها عن المفهوم الحقيقي للإله. حيث قالت: أنا أخاف أن أناقشك لأنكِ قد تكوني أنتِ الخالق المتجسد، حيث لديكِ كثير من العلْم. فالإله قد يأتي في صورة إنسان أو ربما حيوان ليُعلمنا درساً معيناً، وقد يكون قد أتى في صورتكِ. حينها شعرت بمشاعر مختلطة بين الرغبة في الضحك من إجابتها والحزن على حالها، والتعجب من الحال التي وصل إليها هؤلاء النّاس.

قلت لها: عجيبٌ أمرك، أنا لا أستطيع أن أتخيل أبي أو زوجي في صورة حيوان أو أي مخلوق آخر، كيف تقبلين هذا التصور للإله الخالق، تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً.

وتتوالى الحكايات.

مثرا في الديانة الزرادشتية: كانت هذه الديانة هي الديانة الغالبة في عهد الدولة الرومانية قبل ظهور المسيح، ومثرا هو الإله المتجسد الذي كان يعبد في بلاد فارس. فمن هو هذا الإله؟

قبل مئات السنين من ظهور المسيح وعند ولادة مثرا قام ثلاثة من الحكماء بزيارة المولود مثرا وجلبوا معهم هدايا ومصوغات ذهبية وقدموها إلى أم المولود تبركاً بقدومه إلى العالم. كان يوم ميلاده في الخامس والعشرين ٢٥ من شهر ديسمبر، وهو نفس اليوم الذي سمي لاحقا بعيد ميلاد إله الشمس. وفقاً لمؤرخي الديانة الزرادشتية، فإن مثرا مات على الصليب، وقبل موته بأيام حضر العشاء مع اثني عشر من أتباعه المقربين، وسمي ذلك العشاء بالعشاء الاخير. أما أتباعه الاثنا عشر فهم يمثلون دائرة الأبراج الإثني عشر في منظومة الشمس! بعد موت مثرا على الصليب وضع جسده في تابوت صخري.

كريشنا في الهند: الإله المتجسد. ولد من العذراء ديفاكي. كانت ولادته في كهف، وأنار الكهف بنوره الساطع. رعاة البقر عشقوا يوم ولادته حيث النجوم كانت قد أعلنت ميعاد ولادته. الملك الهندي كانسا أمر بذبح مئات الاطفال الذين ولدوا في ليلة ميلاد كريشنا من أجل القضاء عليه لكنه لم يفلح، حيث نجا كريشنا. كان كريشنا كثير الأسفار وصنع معجزات كثيرة. كريشنا مات على الصليب، لكنه صعد إلى الجحيم ثم نهض مرة ثانية في اليوم الثالث وصعد إلى الجنة!

---

[١٣] https://www.khaberni.com/news/اسباني-يقنع-عجوزا-انه-الله-ويحتال-عليها-بـ-٣٠٠-الف-يورو-٦٠١٠٧٠

أوزيس في مصر: الإله المتجسد، جاء ليكمل الناموس! سمي ب كرست بما يعنى المختار. ولد من رحم العذراء اسيس-ميري في٢٥ ديسمبر. ولادته أعلنتها النجوم وحضر ولادته ثلاثة رجال حكماء. عُمد في نهر أروتانا من قبل أنوب المعمد. مات على الصليب بين اثنين من اللصوص في شهر آذار، ثم قام من الأموات. معاناته، موته وولادته يُحتفل بها كل عام من قبل اتباعه. من ألقابه (كلمة الحق، ابن الإنسان، ابن الإله، الحقيقة، النور).

عبادة راجنيش: الإله المتجسد. انتقل راجنيش إلى بومباي عام ١٩٧٠ وفتح فيها مركزا للتأمل والتنوير بمساعدة أثرياء في الهند وغير اسمه من المعلم راجنيش إلى بقوان راجنيش، أي الرب راجنيش، وبدأ يعرض فلسفته. إحدى وعشرين دولة في العالم رفضت استقباله. عند موته كتب على قبره أنه الإله دخل العالم عام ١٩٣١ وخرج عام ١٩٩٠.

بهاء الله: الإله المتجسد. في أواسط القرن التاسع عشر اختار الخالق بهاء الله حسب بعض العقائد لإيصال رسالة جديدة إلى البشرية. بالنسبة لهم، البهاء هو الذي خلق كل شيء. يؤمنون بالتجسد والاتحاد والتناسخ وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب يكون للأرواح فقط.

عبادة علي بن أبي طالب: بالنسبة لبعض العقائد؛ فعلي بن أبي طالب زوج بنت نبي الله محمد وابن عمه هو تجلٍّ للإله على الأرض، بل هو خالق السماوات والأرض. وهو بذلك آخر التجليات الإلهية لكنه ليس الوحيد، فوفقاً لهذه المعتقدات كان الثالوث المقدس هذا قد تجلى في مرات عديدة ماضية.

عبادة مارادونا: الكنيسة المارادونية على سبيل المثال، والتي تعرف أيضا باسم كنيسة مارادونا، هي كنيسة ذو طابع ديني تهكمي، تم تكريسها في مدينة روساريو بالأرجنتين على اسم لاعب كرة القدم الأرجنتيني دييغو مارادونا، والتي تعتبره من صور الرب على الأرض أو الرب نفسه. وقد أسسها محبو مارادونا في ٣٠أكتوبر عام ١٩٩٨ وهو يوافق ذكرى ميلاد اللاعب. ولذلك يحتفل الآلاف من منتسبي الكنيسة كل عام بـ كريسماس مارادونا، أو عيد ميلاد مارادونا في كنيسته في روساريو مثلما يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد المسيح في كنيسة المهد في القدس.

عبادة ميسي: أطلق عشاق نجم كرة القدم على اللاعب الأرجنتيني ليونيل ميسي لقب ديوس التي تعني الرب باللغة الإسبانية، لكن بابا الفاتيكان كان له رأي آخر. ففي مقابلة مع قناة لاسيكستا التلفزيونية الإسبانية، أشاد البابا فرنسيس باللاعب القادم من بلده الأرجنتين لكنه قال إنه لا يجوز وصفه بالرب. وقد عزمت حكومة دولة الأرجنتين إصدار طابع بريدي بصورة ميسي، ولو كانت المرحلة القادمة تستهدف عمل تمثال له فستكون النتيجة دين جديد يدعو إلى عبادة ليونيل ميسي. كما حدث في الحضارات القديمة عندما مجدت بعض الشعوب الأشخاص حتى وصلت لعبادة تماثيل هؤلاء الأشخاص من دون الخالق، كما حدث مع قوم نبي الله نوح عليه السلام.

وأتذكر حوار لي مع إسكتلندي يعتنق النوردية ويعبد اثنا عشر إلها جميعهم صور لتجسد الخالق. كان قد أخبرني هذا الرجل عن هذا الدين الذي سمعت عنه للمرة الأولى. وهي عبارة عن عبادة الإله ثور، ابن الرب المتجسد. طائفة الآساترو وهي القوة المتحكمة في الكون التي في السماء وتجسدت في البشر. القصص الاسكندنافية القديمة وجميع آلهتها، مثل أودين ولوكي، التي نقلها المزارعون النرويجيون إلى أيسلندا في عصر الفايكنغ، حين استعمروا الجزيرة بحثا عن مراع جديدة. وظل سكان الجزيرة يعبدون هذه الآلهة حتى عام ١٠٠٠، وبعدها اعتنقت البلاد المسيحية تحت ضغط ملوك النرويج. وكان التأثير متبادلا بين المسيحية والديانة الشمالية، فنجد مثلا تشابها كبيرا بين عقيدة الإله أودين الذي عبده الشماليون وبين قصة صلب يسوع. ففي الأناجيل تقول القصة أن المسيح كان تجسيدا للإله، وأنه ضحى بنفسه ورضي أن يموت مصلوبا على خشبة، وأن الجنود الرومان ضربوه بحربة في جنبه، ورفضوا أنه يعطوه ماء ليشرب، وأنه مات ثم عاد للحياة منتصرا على الموت بعد أن هبط – خلال فترة موته – للجحيم وقام بتخليص الأرواح الملعونة القابعة فيه، إلى آخر القصة المعروفة.

أما في ديانة الشماليين فهناك قصة عن كبير الآلهة عندهم، أودين Odin الذي ضحى بنفسه كقربان، لنفسه! عن طريق ضرب نفسه بحربة في جنبه وهو معلق من قدمه مقلوبا على شجرة العالم العظيمة، وظل ٩ أيام على هذه الحالة بين الحياة والموت كي ينال في النهاية "الحكمة السرية" التي تنبع من جذر الشجرة العملاقة. وليتعلم الحروف والتعاويذ السحرية التي تعطيه قدرات عظيمة.

يعتقد العلماء بوجود قوة عظمى أعطت النقرة الأولى ل(الانفجار الكبير) الذي تسبب في وجود الكون. وهي ما يطلق عليها المؤمن لقب الخالق. فلا خلاف على وجود خالق للكون، شاء من شاء وأبى من أبى. ولكن الخلاف على مفهوم التجسد. وكانت ذريعة المؤمنين بمفهوم التجسد – بالرغم من تناقضه مع العقل والمنطق السليم – أن الخالق قادر على كل شيء.

المنطق يقول إن المتسبب في وجود المخلوقات والكون مختلف عن المخلوقات وعن الكون، وهو حكيم قد خلقهم لحكمة. والمنطق يقول أن الخالق لا يدخل في المخلوق، ولا الصانع يدخل داخل الصنعة، فصانع الهاتف ليس بهاتف ولا يتجسد في صنعته والتي هي الهاتف. والمنطق يقول إن عبادة الخالق مباشرة هي أسلم الوسائل.

لقد ثبت ثبوتا قاطعا أنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بدون تقديس رمز معين، وثبت أيضا أن الإسلام لا يشبه أي دين آخر، لا من حيث الحياة الدنيوية ونظرتها إلى الجماعة والفرد، ولا من حيث الحياة الآخرة، وأنه لا يمكن لأي رقي أو حضارة من أن يملأ فراغ التدين الذي كان ولازال حاجة فطرية للجميع. وأن الإسلام كان الدين الصحيح والوحيد للبشر من زمن آدم حتى قيام الساعة، حيث كان على البشر دائمًا عبادة الخالق وحده والإيمان بالنبي الذي جاء في زمانه.

فالإسلام - الذي يقول بأنه لا معبود يستحق العبادة إلا الخالق بصفاته المنزهة عن صفات البشر، الخالق الذي لم يلد ولم يولد ولا يتجسد في أي مخلوق، وهو مستقل عن مخلوقاته - يحرر البشر من أي عبادة أخرى. لأن عقيدة التجسد هي أساس الوثنية، فمتى اعتقد البشر بتجسد الخالق في أي مخلوق، فبالتالي ممكن عبادة أي شيء.

لماذا تعدد الديانات مع وجود دين واحد صحيح؟

أذكر أثناء حواري مع مجموعة من جنسيات وثقافات وديانات مختلفة، وقد كنت أتكلم عن التوحيد، وصفات الجمال والجلال الإلهي، وأهمية عبادة الخالق بدون وسيط، كان قد قاطعني شخص من المجموعة بسؤال. حيث قال: من أعظم المسيح أم محمد؟

قلت له: أنت تسأل لتُقارن بين إله وإله آخر؟ أم لتُقارن بين رسول ورسول آخر؟ إن كنت تُقارن بين إلهين، فلا إله إلا الله، فالمسيح رسول ومحمد رسول. وإن كنت تقارن بين رسول ورسول، فنحن لا نُفرق بين أحد من رسل الله.

كنت قد أدركت لاحقا أن هذا النوع من الأسئلة ما هو إلا نتيجة لتقديس غير الخالق، فمتي أثبتنا أن المسيح أفضل من نبي الله محمد على سبيل المثال أو العكس، فيصبح أجدر لأن يقوم الخالق بالتجسد فيه ويكون المخلص للبشر. وهذا هو الحال في عالمنا اليوم، وهذا هو سبب تعدد الديانات والطوائف والمعتقدات والخلافات.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة: ٢٨٥)

حرب على الحقيقة

يقول المستشرق اللاتيني المستر سنيكس: "إن الفكرة الدينية الإسلامية، أحدثت رقياً كبيراً جداً في العالم، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة".

الاسلام إذا حاربوه اشتدَّ:

قال لي هندوسي يوما:

اللون الأزرق ممكن أن يكون بالنسبة لي أحمر، فلا يوجد صواب أو خطأ.

فالخالق من منظوركِ لا يتجسد في صورة إنسان أو حيوان، مع أنه قادر على كل شيء. لكن بالنسبة لي فالخالق يمكن أن يتجسد في أي شيء. وكل هذه الاعتقادات صحيحة.

قال: لا يوجد حقيقة مطلقة. نحن الهندوس أحرار، وأنتم المسلمون مستعبدون، لأنكم لا تتقبلون أن الحق ممكن أن يكون موجود في مكان آخر. وقال: السرقة قد تكون تصرف صحيح بالنسبة للسارق وخاطئ بالنسبة لمن قد تمت سرقته. أنتم غير متسامحون.

قلت له: إذا بالنسبة لي فإن زوجتك التي تقف إلى جانبك ممكن أن تكون شجرة؟ هل تتسامح في ذلك؟ هل من الممكن أن يكون أباك هو ابنك وأن تكون أنت الأب لوالدك؟ هل عيناك ممكن أن تكون أنفك؟ إذا سألتك والدك حي أم ميت؟ الإجابة أنه حي وميت في نفس الوقت لا تصح. لأنه إن كان حيا فلن يكن ميتا، وان كان ميتا فلن يكن حيا.

فالخالق هو الحي الذي لا يموت. فإذا مات فلن يكون هو الحي الذي لا يموت. فالخالق إن تجسد في صورة إنسان فلا يمكن أن يبقى إله في نفس الوقت. فالتجسد وعدم التجسد وصفان متناقضان. وليس لهما علاقة بقدرة الخالق أو عدم القدرة.

فالخطأ خطأ ولو أجمع الجميع على غير ذلك. القطة على سبيل المثال لو أعطيتها قطعة من اللحم سوف تأكل بجانبك وتتودد لك. لكن لو سرقت القطة قطعة اللحم لهربت وأكلت بعيدا عنك. فهي مفطورة على معرفة الصحيح من الخاطئ.

قال: قد لا أتسامح بأن تكون زوجتي شجرة، لكن الخالق يتسامح في ذلك، فهو لا يكترث لهذه التفاهات. ونحن يجب أيضا ألا نطلب منه مباشرة حاجاتنا الدنيوية، فهو أكبر من ذلك.

تذكرت حينها الآية الكريمة:

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (النحل:٦٢)

فمن العقلانية أن يلجأ المريض إلى من وهبه الصحة بالدعاء والاستغاثة. فليس من المنطق على سبيل المثال أن يلجأ من تعطل هاتفه إلى مصنع السيارات لإصلاح الهاتف.

الاستعباد الحقيقي هو الاستعباد للجهل وللأهواء. والجهل في هذا الزمن خيار. عندما ينساق الناس لمصطلح التسامح حتى لا يستطيع البشر التفريق بين الصواب والخطأ، فهذا ما أشبه بعملية غسيل دماغ للبشر، يفقد البشر من خلالها المقدرة على مقاومة عقلية الاستعباد. فالمنطق هو هيكل الحقيقة، والإنسان مفطورٌ على العقلانية.

ومما تعرقلت عقلانية الإنسان وتشوهتْ بفعل عوامل أخرى يظل في النهاية مفطوراً عليها، ويعود إليها كلما قل تأثير ما يُلبس عليه. لذلك: محاربة الحقيقة هي فكرة فاشلة لأنها ستسلط الضوء على الحقيقة أكثر، وتوجه أنظار الناس للمكان الذي يدور فيه الصراع، فالعين تتبع الحركة دائماً. ليس هذا وحسب، بل الأهم من ذلك كله هو استثارة أهل الحق.

إن المنطق السليم يقول: أن أي انفجار في هذا الكون وحسب قوانين الفيزياء الكونية يؤدي إلى الفوضى!!

فأين المنطق من أن الانفجار الكبير أدى إلى تشكيل هذا الكون المنظم والمحكم وبدقة متناهية، وما الحكمة؟

المنطق يقول إن المتسبب في وجود الكون مختلف عن الكون، وحكيم قد خلقه بحكمة.

والمنطق يقول إن الخالق لا يدخل في المخلوق، ولا الصانع يدخل داخل الصنعة.

والمنطق يقول إن التواصل المباشر مع الخالق أعقل الوسائل.

من أجمل ما قرأت[١٤]:

في الإسلام الحق، عندما يدخل البدوي على رسول الله وهو جالس على الأرض مع الناس فيسأل أيكم محمد؟

في الإسلام الحق، لا يوجد ترتيب هرمي لأهل الدين الذي يشبه تسلسل الرتب العسكرية.

في الإسلام الحق، رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.

في الإسلام الحق، لا يوجد كهنة تتوسط بينك وبين الخالق، فهو أقرب إليك من حبل الوريد.

في الإسلام الحق لا تحتاج إلى معبد تقدم فيه القرابين لتماثيل الرب وتعترف لقسيس بخطاياك يتوسط لك مع الله ليغفرها، أو مقام ولي صالح (قبر ميت) تتقرب به من دون الله وتطلب منه المدد وحاجاتك الدنيوية مقابل مبلغ من المال.

لا يوجد اسلام معتدل واسلام غير معتدل، الإسلام الحق هو دين الوسطية أصلا، فهناك الاسلام الحق والإسلام المزيف، وهو الذي يتبعه أهل البدع والأهواء.

قال لي ملحد يوما: ما الفرق بين الإله والخالق؟

---

[١٤] الباحث عن الحقيقة Facebook

قلت له: يجب على كل إنسان أن يتخذ لنفسه ما يقدسه ويجعله محور لحياته، وهذا هو الإله. والخالق يجب أن يكون الإله الوحيد لكل إنسان.

وكلمة" الله" تعني الإله الواحد الأحد الذي ليس له شريك في ملكه ولا ولد، وهو الخالق لكل شيء. وهو المستحق للعبادة وحده.

قال الملحد: هل الخالق خلق البشر ليلعب ويتسلى؟

قلت له: لقد أجاب الخالق على سؤالك في القرآن الكريم حيث قال:

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (الأنبياء :١٦)

الخالق، وهو الإله الواحد الأحد في الإسلام يعرفه الإنسان بالتدبر والتفكر.

لو قضى الإنسان وقته وحده في مكان معزول سيتعرف على خالقه فقط من خلال تأمله في دورة الحياة والموت وبذلك يتعرف على أسماء الخالق وهي المحيي والمميت.

عندما يدرك الإنسان أنه لم يُخلق عبثاً سيتعرف على اسم الخالق الحكيم.

عندما يتأمل الإنسان الضبط الدقيق في خلق الكون سيتعرف على اسم الخالق القيوم.

الإسلام الصحيح هو الإعتراف بوجود الخالق والتسليم له بعبادته مباشرة وهو الفطرة النقية التي ولد عليها الإنسان. والذي لا ينتقل عن طريق الوراثة أو التعميد أو بالثقافة.

التوحيد، هو أساس دين الإسلام عبارة عن نظام التشغيل الإفتراضي الذي تمت برمجت الإنسان عليه من أجل أن يعود للمكان الذي خلق فيه، وهو الجنة.

قال: فلماذا الإسلام محارب إذا كان هو الحق؟

قلت له: كلما ابتعد المجتمع عن الحق أصبح المجتمع يكره من يقول الحق.

لا يموت الحق بكثرة محاربة أهل الباطل له، وإنما بسكوت أهل الحق عنه. الحق لا يقبل التعدد والمجاملة والنفاق لأنه واحد. والباطل لا يحتاج إلى التشويه لأنه في الأصل مشوه. ولكن الحق دائما ما يحاول أعدائه تشويهه لأنه حق.

الإسلام هو أسلوب كامل للحياة، ومن أجل ذلك كله الإسلام الحق هو خطر على تجارة الكثير من البشر.

فشهادة أن لا إله إلا الله "الخالق" عبارة عن اعلان حرية وتحرر من اللجوء لقسيس أو قديس، عبادة الأصنام، استعباد صناعة التجميل، استعباد صناعة الموضة، استعباد صناعة الطرب، استعباد صناعة السينما، استعباد وسائل التواصل الاجتماعي، استعباد الأوهام والخرافات.

فلا معبود بحق إلا الخالق.

قال روسو الفيلسوف الليبرالي: "يولد الإنسان حرا ويتم جره لاحقا بحلقات الاستعباد في كل مكان".

لا بد من وجود قوة عليا يعظمها البشر لكيلا يكونوا مستعبدين لأهوائهم. فإن لم تعبد الخالق فستعبد كل شيء غيره.

زيارتي للمونديال، ومعرفة الخالق

عندما ينظر الإنسان العاقل إلى الواقع ويحلل بمنطق يرى بوضوح أن البشر لا شك متجهون إلى التمايز لفريقين لا ثالث لهما، فريق المنتصر الذي قام بتمجيد خالق الكون كما تفعل جميع موجودات الكون، أو فريق المنهزم الذي قام بتمجيد غير الخالق، فعلى الإنسان أن يحسن اختيار الفريق الذي ينتمي إليه.

لا معبود إلا الخالق:

تعجب أبنائي من زيارتي لمونديال الدوحة بصحبة والدهم، لعلمهم بعدم وجود ميول كروية لدينا. وقد تزامنت زيارتنا للمونديال مع توزيع كتابي الجديد المونديال الكبير- مقامك حيث تقيم نفسك في أراضي الدوحة.

قلت لأبنائي: موضوع كتابي الجديد هو المقارنة بين مهمة لاعب كرة القدم في المونديال ومهمة الإنسان على كوكب الأرض. وقد أحببت أن يكون لي تقييم بمشاهدة عملية وواقعية.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتاب الدين:

"إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجيّة وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي (اتخاذ معبود)، والاهتمام بما فوق الطبيعة، هو إحدى النزعات العالمية للإنسانية".

وكلمات الدكتور الدراز بدت جلية في ملامح وجوه زوار المونديال وتصرفاتهم وهم يتسارعون إلى الوصول للملاعب لتشجيع وتمجيد لاعبي فرقهم. الهتاف يتعالى في كل مكان وكأنه مشهد من مشاهد الحج. وكأن الجميع عوضا عن الهتاف: لبيك اللهم لبيك، كانت تهتف باسم الفريق ولاعبي الفريق.

الخوف والذعر على ملامح الجميع من خسارة لعبة كرة قدم، بينما نسي الجميع أو تناسى أن الخسارة الحقيقية كما هو القول الدارج أن تكون جنة عرضها السماوات والأرض ولا يكون للإنسان مكان فيها. ذلك أن الخسارة مذاقها مر، وبعض الناس إذا لحقت بهم خسارة دنيوية ينالهم من الحزن ما يكاد يقضي على حياتهم، وقد يودي بحياتهم بالفعل. لكنّ الخسارة الحقيقية ليست خسارة الدنيا، وليست خسارة المال والمنصِب أو الوظيفة أو التجارة أو اللعبة، الخسار الحقيقية هي خسارة الحياة الأبدية، ونعيم الدنيا ليس مقياسًا للربح والخسارة؛ فكم من رابحٍ في الدنيا وهو خاسرٌ يوم القيامة؟!

قال تعالى: فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (الزمر: ١٥)

سمعت مقابلة لسيدة أرجنتينية تقول فيها إن مونديال كرة القدم هو حياتها. تقوم على مدار أربع سنوات بتجميع كامل راتبها الشهري استعدادا لموسم المونديال القادم. وهذا ما يسمى العبادة ونزعة التدين.

لا إله إلا الله:

يقول سعيد النورسي[١٥]: " هذه الكلمة تتقطر بشرى عظيمة وأملاً بهيجاً كالآتي: إن روح الإنسان المتلهفة إلى حاجات غير محدودة، ومستهدفة من قبل أعداء لا يُعدون. تجد في هذه الكلمة العظيمة منبعاً ثرياً بما يفتح لها أبواب خزائن رحمة واسعة ترد منها ما يطمئن جميع الحاجات، وتضمن جميع المطالب. وتجد فيها كذلك مرتكزاً شديداً ومستنداً رضياً يدفع عنها جميع السرور، ويصرف عنها جميع الأضرار. وذلك بما تُري الإنسان من قوة مولاه الحق، وترشده إلى مالكه القدير، وتدله على خالقه ومعبوده. وبهذه الرؤية السديدة والتعرف على الخالق الواحد الأحد، تُنقذ هذه الكلمة قلب الإنسان من ظلام الوحشة والأوهام، وتُنجي روحه من آلام الحزن والكمد، بل تضمن له فرحا أبديا، وسرورا دائما".

معرفة الخالق:

قال جيفري لانغ، أستاذ الرياضيات الأمريكي الذي ترك الإلحاد واعتنق الاسلام في كتاب الصراع من أجل الإيمان:

"أدركت سريعًا جدًا أنه لا أحد يعرف الوحدة كالملحد. فعندما يشعر الشخص العادي بالعزلة، يمكنه الدعاء بأعماق روحه لأحد يعرفه ويحسن الداعي جوابًا. الملحد لا يستطيع أن يسمح لنفسه ممارسة هذه المتعة، لأن عليه أن يسحق تلك الرغبة الملحة ويذكر نفسه بأنها عبث"[١٦].

---

[١٥] عالم مسلم كردي.

[١٦] https://fatensabri.com/?page_id=١٣٤٤&lang=ar

يقول المهندس لؤي صبري: "إن الإيمان والاعتقاد بالخالق يجب ألا يرتكز فقط على معرفة صفاته، بل يجب أن يمتد إلى تعظيم الصفات والذات الإلهية. فيقاس إيمان الشخص بمدى التصور الذي يضعه هذا الشخص في قلبه عن الخالق. والذي ينتج عنه مشاعر وانفعالات وردود أفعال وأعمال بدرجات تتفاوت حسب مدى تعظيم الخالق في النفس. فالإنسان كلما ازداد خشية وخوفاً من رب العالمين كلما حرص على أن تكون أعماله أقرب ما تكون إلى مرضاته وأبعد ما تكون عن حرماته. يجب ألا يخرج التصور عن الذات الإلهية عن دائرة تنزيه الخالق عما لا يليق بجلاله. وأيضا يجب ألا يخرج عن دائرة حسن الظن بقضائه وقدره"[١٧].

فالاعتقاد لدى بعض أتباع الديانات الوضعية المنتشرة حاليا عن حلول الخالق في جسد المسيح أو عن صلب المسيح وموته من أجل غفران خطايا البشر، وما يشبهه في العقيدة الهندوسية، وتبرير ذلك بأنه تسامح وتفضل من رب العالمين على خلقه، وتنازل منه عن بعض حقوقه أو صفاته رحمة ومحبة بخلقه.

هذا تبرير مهين يرضاه اتباع هذه الديانات لخالقهم في حين أنهم لا يرضونه لأنفسهم أو حتى لأحد أقاربهم. فالأصل في الاعتقاد السليم عن الخالق يجب أن ينبني على التعظيم والتنزيه، وعدم إلصاق تصورات عن الخالق يكره الإنسان أن ينسبها لنفسه.

الدين هو ذلك الإحساس العميق في لحظات الوحدة والهجر بأننا لسنا وحدنا، وإنما في معية غيبية، وفي أنس خفي، وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا، وذاتًا عليا سوف تلهمنا، وركنًا شديدًا وعظيما سوف يحمينا ويتداركنا[١٨].

وقد لفتت نظري تساؤلات أعجبتني لشاب يقول فيها: هل تستطيع أن تضع قانوناً لا يخالفه أحد؟ إنه الحلم المستحيل لكل الحكام والمشرعين على مدار التاريخ. هل تعلم لماذا لم يحقق أحد هذا الحلم؟

فإنه بالرغم من كل القواعد والقوانين والقيود التي يضعها الحكام لتحكم مجتمعاتهم تظل العشوائية جزءا لا يتجزأ من حياة المجتمعات البشرية. ويظل كل قانون يستمد قوته التطبيقية من قوة واضعه ومطبقه. ويظل لكل قاعدة شواذ، ولكل قانون مخالفين. لكن ماذا عن قوانين الكون؟

الكون الذي يدعي البعض انه كون عشوائي بدون خالق مهيمن. هل القوانين والقواعد الرياضية والمنطقية (التي لم يضعها أحد حسب زعمهم) يمكن مخالفتها؟ هل يمكن كسرها وهل لها استثناءات؟ هل يمكن أن يصبح يوما ما الجزء أكبر من الكل؟ أو أن نجد يوما ما أن ١ + ١ = ٣؟

---

١٧ https://fatensabri.com/?page_id=١٣٤٤&lang=ar

١٨ الدكتور مصطفى محمود. كتاب سواح في دنيا الله.

يقول عالم الرياضيات والفيزياء يوجين ويغنر: " الفاعلية غير المعقولة للرياضيات في العلوم الطبيعية شيء يتاخم عالم الغموض، ولا يوجد تفسير عقلي لذلك معجزة ملاءمة لغة الرياضيات لصيغة قوانين الفيزياء هدية عظيمة لا نفهمها ولا نستحقها"[١٩].

يزعم الدين الإنساني الجديد أن القيم الإنسانية الوضعية كلها خير. ولكنه في الواقع أنه من أباد الشعوب وأشعل الحرائق وألقى القنابل ولوث الطبيعة والماء والهواء هو الإنسان المعتنق لدين الإنسانية الجديد.

شريعة الخالق:

يقول الأديب الروسي ليو تولستوي: "سوف تسود شريعة القرآن العالم لتوافقها مع العقل وانسجامها مع الحكمة. لقد فهمت وأدركت أن ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تُحقُّ الحق وتُزهق الباطل. ستعم الشريعة الإسلامية كل البسيطة لائتلافها مع العقل، وامتزاجها بالحكمة والعدل"[٢٠].

السرديات الكبرى: بين هدف عظيم ومآل أعظم

جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عن الناس (رواه الطبراني)

ما أعظم هذه الحقائق التي أقرتها كلمات هذا الحديث، وهي حقائق وجودية غابت عن بال الكثير. وقد أطلق فلاسفة الغرب ومدعي الحداثة على هذه الحقائق لقب السرديات الكبرى. ولم يكتفوا بإطلاق الألقاب عليها، بل وأعلنوا نهايتها بضرورة الاستغناء عنها ونسيانها. وبالتالي تفرق البشر. لأنه مهما اختلف الناس على السرديات الصغرى تظل الكبيرة تجمعهم.

كنت قد سمعت مرة شرح بسيط للدكتور عبد الوهاب المسيري عن السرديات الصغيرة بقوله إنها ما شابه بعض الأمثال الشعبية المتداولة، حيث قال: نقول في المثل: اسعى يا عبدي وأنا أسعى معاك. ومن خرج من داره نزل مقداره. وهما مثلان متناقضين بطبيعة الحال.

فعلق الدكتور قائلاً: فالسرديات الصغيرة تعني أن الأمور نسبية وليست مطلقة، وكل فرد عليه أن يأخذ بما يراه مناسبًا. وهذه الفكرة تبنّاها الغرب وسعى إليها، ودعى إلى إلغاء السرديات الكبيرة، والتي تضم معرفة حقيقة: مصدر الوجود. غاية الوجود. المآل بعد الموت. الحساب والعقاب.

---

١٩ https://ronahi.net/?p=٢٠٤٠٢

٢٠ https://www.aletihad.ae/article/٣١٢٧٢/٢٠١٩/تولستوي:-الإسلام-يتوافق-مع-العقل-ويمتزج-بالحكمة

لم أفهم هذه الفكرة جيدًا إلا عندما ناقشت سيدة بريطانية عن القيم الأخلاقية، وفاجأتني قائلة: قد يبدو لكِ الزواج من الحيوان عمل مستقبح، ولكن هو بالنسبة للبعض طبيعي. وقد يعد له البعض حفلات زفاف راقية وباهظة الثمن. قالت مستطردة: لا يوجد خالق ولا مخلوق. وكل منا يجب أن يعيش حياته بطريقته. فقلت في نفسي: الآن فهمت معنى نسبية الحقيقة عند الآخرين.

قال تعالى: أَ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج: ٤٦)

قالت مديرة شركة بريطانية كبيرة يومًا: أنا ليس عندي اعتبار ولا وقت للخالق. أنا مشغولة جدًا بعملي ونجاحاتي المستمرة.

قلت لها: والخالق سوف ينساكِ يوم لقائك به، ولن يكون لديه اعتبار لك ولا لوجودك. وتذكرت الآية الكريمة التي تقول: ...نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (التوبة: ٦٧)

وقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (الحشر: ١٩)

وهذه بالطبع النهاية الطبيعية لمن ينسى خالقه.

قالت: أنتم المؤمنون رغم إيمانكم دائمًا في خوف وجزع من لقاء الخالق.

قلت لها: ما هو شعور موظف عندما يتغير طاقم العمل حوله فجأة، سوف يرتبك وتختلط عليه المشاعر فقط، وليس خوفًا وجزعًا. فاعتياد المؤمن على وجوده في هذه الحياة هو ما يسبب له الارتباك من رحيله منها واقباله على حياة أخرى. وهذا خوف فطري وطبيعي. وهو محمود أيضًا. فهو يجعل الإنسان دائم الاستعداد لهذا الموعد العام والمصيري مع خالقه.

قد يبكي المولود الخارج من رحم أمه خوفًا من المجهول لكنه يدرك في النهاية أنه أصبح في يدي أم حنونة. إن استعداد الإنسان للقاء خالقه إنما هو هدف عظيم، ويجب أن يجمع المؤمن في قلبه بين الخوف والرجاء. الخوف من ذنوبه، والرجاء في رحمة خالقه. واستحضار رحمة الخالق بمجرد تخيل موقف لقاء الإنسان بأمه التي هي أرحم به من جميع البشر.

خوف العبد من لقاء خالقه والحياة بعد الموت لا يجب أن يكون إلا احساس شبيه بمن استعد للسفر من دولة إلى دولة أفضل من الأولى بجميع المقاييس. يستحق المؤمن الرحلة الأبدية إلى الجنة باستعداده لهذه الرحلة في حياته الدنيوية قبل الموت. علمًا أن هذا كله لا يتحقق إلا برحمة الخالق أولاً.

حياة المؤمن بعد الموت سهلة وسلسة. انتظار يوم الحساب في حياته البرزخية بعد الموت وفترة انتظار الحساب يوم القيامة لدخول الجنة يمر بسهوله ويسر.

وهذا بالضبط ما نشعر به بالفعل عندما تمر علينا أحيانا فترات معينة وكأنها أعوامًا، بينما تمر فترات أخرى بسرعة البرق. أما من نسي خالقه ولم يستعد لهذا اللقاء فهو من سوف يجزع ويرتعد خوفًا عند الموت، وبعد الموت، وإلى أبد الآبدين.

وصف الخالق حياتنا على هذه الدنيا بأنها ليس أكثر من ساعة يتعارف البشر فيها.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (يونس: ٤٥)

وهذا أيضًا قد نشعر فيه بواقعنا، فخلال تجوالي حول العالم، مكثت في بعض البلدان بضع ساعات، وفي أخرى سنوات طويلة، وجميعها في ذاكرتي الآن وكأنها ساعة واحدة فقط.

قال تعالى:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (الحديد: ٢٠)

قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمة، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ (صحيح الترمذي)

عندما قرأت هذا الحديث تذكرت كلمات ذكرها المهندس لؤي صبري في مقال له حيث يقول:

"الخصام والشقاق بين الإنسان وربه يعود لحقيقة أن الإنسان يريد الدنيا في حين أن الله يريد له الآخرة"[٢١].

...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (الأنفال: ٦٧)

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (ياسين: ٧٧)

فكل ما يرتبط بغير وجه الله الباقي يفنى! وكل حب لغير وجه الله الباقي هو حبٌ فاني.

[٢١] https://fatensabri.com/?page_id=١٣٤٤&lang=ar

يقول الدكتور مصطفى محمود: قال تعالى:

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (البقرة: ٢٤٩)

لقد ربط الخالق الانتصار في المعركة بالانتصار على النفس. ففي القصة القرآنية، وكأنما الله يقول لهم رغم العطش لا تشربوا. وعند اشتداد العطش حسبكم غرفة قليلة لتسدوا بها رمقكم. فكانت النتيجة: فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ. وهؤلاء هم القليل في كل عصر. شعارهم: نقاوم ما نحب، ونتحمل ما نكره. وتتلخص الحياة في نظر الكاتب في هاتين الكلمتين.

ووصف الكاتب الدنيا بالنهر الذي يجري تحت أرجلنا. وكل منا يغترف منه. شخص يأخذ ما يكفيه، وآخر يأخذ ما يفيض عن حاجته. هؤلاء القليل هم الذين خلق الله الدنيا من أجل فرزهم، وتمييزهم عن الكثرة. وخصص لهم جنات كرمه في الآخرة، لأنهم هم أهل الله وخاصته. أما الباقي فهم حطب الشهوات في الدنيا، وحطب النار في الآخرة.

سألني علماني كندي يومًا: كيف يعرف الخالق أن علمه هو حق وصحيح؟

قلت له: الخالق هو الحق.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (الحج:٦٢)

وكيف تسأل من هو الحق عن الحق؟ وكأنك تقول أثبتي لي أن يوم الأربعاء هو يوم الأربعاء. أو كيف تعرفين أن عيناك اللتان على وجهك هما عيناك. الخالق حق. الموت حق. الفراق حق. الحساب حق. العدل حق. وغياب العدالة المطلقة في هذه الدنيا يقودنا إلى حقيقة وجودها في مكان ما. ولا يجب أن يفلت المجرم من الحساب على إجرامه. ويجب أن يثاب المحسن على إحسانه. والحق مطلق وليس نسبي.

قال: لا يوجد حساب ولا عقاب، ولا لقاء للخالق. الخالق خلقنا وانشغل.

قلت له: من أخبرك بهذا؟

قال: هذا قراري. أنا من أقرر مصيري بعد الموت، وأنا من أقرر ما هي صفات خالقي، وأنا من أقرر أولوياتي. وأنا قررت أنني بعد الموت سوف أصبح نبتة مفيدة للناس. وقد اشتريت الأرض وأوصيت أختي أن تعتني بها لأنني أنا الشجرة التي سوف تنبت فيها. أنا عانيت من طفولة صعبة وفقر مطقع، والآن أنا غني جدًا، أريد أن أصبح شجرة لأنفع البشرية.

لقد أضحكتني إجابته وقلت في نفسي: إن أفظع تبعات الحداثة المزعومة أن جعلت البشر كالمرضى النفسيين الذين فقدوا القدرة على التمييز بين ما يصلحهم وبين ما يودي بهم إلى أسفل سافلين.

قلت له مباشرة: لماذا لا تشتري بنقودك مزرعة كبيرة وتهبها للفقراء لكسب الثواب من خالق البشرية، فيكون أفضل لك من أن تتحول بنفسك إلى شجرة. وما الفائدة من نفع البشرية بدون اعتبار لوجود خالق البشرية، ما دمت أنت والبشرية إلى فناء حتمي؟

وقلت له أيضًا: ومن أعطاك الحق لاتخاذ هذا القرار أصلاً؟

قال: جوهر العلمانية أن الإنسان هو القيمة المطلقة وأنه هو صاحب القرار.

قلت له: إذًا فأنت عابدٌ لنفسك.

فأنت تصبح في هذه الحالة إله مزيف تعبده نفسك، وعبادة الإله المزيف لن تنفع صاحبها بشيء لأنه لا ينفع ولا يضر. فأنت في الواقع بمجرد إصابتك بفيروس بسيط كفيروس الكورونا فإنك لن تستطيع أن تنقذ نفسك من موت محقق وليس لأن تقرر مصيرك فحسب. لأنك لو كان بيدك تقرير مصيرك لقررت البقاء على قيد الحياة ولدفعت عن نفسك الموت أصلاً.

فلو ادعى شخص أنه بالعلم وحده مثلاً وبدون الحاجة إلى الخالق استطاع أن يشفي طفله من المرض، فكان أولى به أن يمنع عنه المرض أصلاً، ويضمن له الحياة الأبدية على هذه الدنيا.

قلت له أيضًا: الخالق مالك لما يخلق. فأنا إن اخترعت شيئًا معينًا فسيعتبرني الجميع بدون تردد مالكة لهذا الاختراع.

والمالك هو الوحيد الذي له الحق في تقرير مصير اختراعه، وكيفية عمل الاختراع، والهدف من هذا الاختراع. وهذا حسب القانون البشري، والذي يقول إن المالك الحكيم هو من له هذا الحق. ومن خلق الكون يجب منطقيًا أن يكون أحكم من البشر الذين خلقهم. فهو بحكمته لن يترك ما خلقه دون رعاية وعناية كما تدعي. ولن يترك الخالق البشر يعانون من البحث عن إجابات لأسئلة تدور في خلدهم عن مصدر وجودهم، وتزويدهم بمنهج للسير عليه في حياتهم. وهو الوحيد أيضًا الذي يستطيع أن يقرر في مصيرك بعد الموت. خلقك لهدف معين، وأعطاك حرية الاختيار. والتي بناءً عليها سوف تحاسَب.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: جوهر الإيمان هو: "الاستعداد أن يُحكم عليك من قيمة خارجية عليا"[٢٢].

---

[٢٢] https://ruyaa.cc/Page/٦٧٨٧٦/

فمجرد قراءتي لكلمات الدكتور المسيري هذه خطر ببالي أن تميز كل شخص عن غيره بغض النظر عن عرقه أو لونه أمام الخالق هو بدرجة استعداده للقاء الخالق للحساب. تمامًا كما يكون تميز التلميذ المجتهد في المدرسة عن غيره من زملائه - بغض النظر عن شكله أو نسبه أيضاً - بدرجة استعداده وتحضيره للاختبار.

ويقول الدكتور المسيري أيضًا: "النسبية الإسلامية هي: أن يؤمن الإنسان بأن هناك مطلقًا واحدًا هو كلام الله، وما عداه فاجتهادات إنسانية نسبية في علاقتها بالمطلق الذي يوجد خارجها"[٢٣].

لقد لفتت انتباهي شهرة الفيلسوف الألماني نيتشه الذي أعلن نهاية الحقائق المطلقة والعظيمة مثل وجود خالق للكون والمآل بعد الموت. طرح نيتشه فكرة موت الإله، وكان ذلك بحزن عميق وليس بفخر وسعادة كما يعتقد البعض. وكان ذلك في كتابه " العلم المرح" الذي نشر عام ١٨٨٢. حيث قال: لقد مات الإله. ونحن الذين قتلناه. كيف لنا أن نعزي أنفسنا ونحن قتلة؟

في حوار لي مع فرنسي كان قد تعرض خلال الحوار لنقطة عدم وجود حقائق مطلقة، وأبدى إعجابه بنيتشه قائلاً: العظيم نيتشه أعلن انتهاء السرديات الكبرى بمعنى إعلان هدم الحقائق العظمى بخصوص أصل الوجود.

قلت له: من يهدم ما هو عظيم ليس بعظيم.

نهاية الحقيقة المطلقة (عدم وجود خالق للكون) يعني بعدم وجود مرجعية، وأن الإنسان هو المرجعية وصاحب القرار في إطلاق القيم والحقائق، وهذا لا يصح. هذا يجعل حياة البشر كالغابة يترنح الجميع فيها بين قيم وأفكار نابعة من أهواء وميول شاذة. وجهل البشر بحقيقة معينة أو تجاهلهم لها لا يجعلها غير موجودة أو يلغي وجودها. فإنكار الأبناء لوجود والديهم لا يعني عدم وجود هذين الوالدين. وقناعتي أن منزلي أكبر منزل في العالم لا يعني بعدم وجود أكبر من منزلي بالفعل. ويجب على البشر التمسك بالحقائق العظمى التي تجيب على أسئلة البشر. مثل: من أين جئنا؟ لماذا نحن هنا؟ إلى أين نذهب؟

ولا يجب علينا تعظيم من يحاول هدم هذه الحقائق والقيم العليا. ممكن أن نستوعب أن يكون نيتشه أعلن موت الإله المزيف الذي له ولد ويموت ويصلب. كما أن الواقع المادي لا يزود الإنسان بقيم بل بحقائق مادية بحتة.

على سبيل المثال: أننا إذا صهرنا الحديد فإنه سوف يتمدد، وإذا صهرنا جسد طفل فإنه سوف يتمدد، وهذه حقيقة من منظور مادي. فمن تثيره الشفقة على الطفل فهذا لا يتحدث من منظور علمي مادي. إنما يتحدث من منطلق قيمة أخلاقية غير مادية[٢٤].

---

٢٣ https://ruyaa.cc/Page/٦٧٨٧٦/

٢٤ من أقوال الدكتور عبد الوهاب المسيري.

وهذا ما تزودنا به الحقائق الكبرى. وحتى نفهم موقف نيتشه يجب أن ندرك أن الصراع لم يكن بين نيتشه (الإنسان الفاني) وبين الإله الخالد، وإنما كان بين نيتشه والكنيسة، وبين نيتشه وبين مفاهيم يقوم الكهنوت بغرسها في نفوس النّاس، والتي تدعو إلى الاستكانة والخنوع والخضوع والعزوف عن الحياة. ورفض نيتشه الداروينية لأنّ الإنسان بالنّسبة له يولد من رحم الإرادة، وليس مجرد طفرة تطورية وراثية ذات طابع عشوائي ورفض أن يكون الإنسان أصله قرد. فبينما يتناقش البشر على سبيل المثال عن مصدر الوجود مستخدمين العقلانية، نجد القردة تتنقل بين الأشجار. فلا يمكن المساواة بين الإنسان والقرد في أي حال من الأحوال. فلقد ميز الخالق الإنسان بالعقلانية التي تؤهله للتمييز بين الحق والباطل.

إنّ نشأة الالحاد والنظرة المادية المرتبطة به والدعوة إلى التّمرد على المنظومة الأخلاقية الدينية التي تبناها نيتشه لم تنشأ من فراغ، بل كانت إحدى النتائج الجانبية للثورة الفكرية في القرن التاسع عشر. فقد وجد نيتشه أنّ أوروبا قد أقصت الدين عن حياتها، ولم يبق منه سوى روحانية بسيطة تتنكر للجسد وحقه، وتحتقر مباهج الحياة ومتعها، فرفض بدوره الإيمان بالدين كلية. لكن نيتشه لم ولن يستطيع أن يعلن موت القوة العظمى التي ليس لها بداية أو نهاية. الخالق الأبدي الذي لا يموت. والذي هو الحقيقة المطلقة وأصل الوجود.

وعمومًا فإن فكرة التخلي عن الموروث الديني وعن الحقائق العظمى هي فكرة باطلة في الأصل. ذلك أن هذا التخلي المطلق عن الموروث يستحيل تطبيقه عمليًا، فلا يستطيع الإنسان أن يجعل من نفسه صفحة بيضاء نقية يخط فيها ما يشاء ابتداءً، مهما زعم بعضهم إمكان تصور هذا الحال. وحتى أولئك (الغربيون) الذين تنكروا للماضي وتراثه وحصروا أنفسهم في الحاضر، واندفعوا بقوة نحو المستقبل، لم يسعهم إلا أن يستعينوا ببعض المفاهيم من تراثهم في تحقيق إنجازاتهم.

فالملحد الذي يدعي الإنسانية والرفق بالحيوان وحقوق المرأة، إنما هو يستعير هذه الأخلاق من موروثه الديني. لأن الإنسان من منظور مادي يجب أن يكون محايدًا للخير والشر كالمادة والبكتيريا تمامًا. فيجب بناءً على هذا المنظور المادي أن يكون الإنسان مجرد من أي عقلانية، منطقية أو مشاعر.

فهو بإلحاده يستطيع أن يصنع صاروخًا، ولكن لا يستطيع أن يعرف من خلال إلحاده أن قتل البشر بالصاروخ تصرف خاطئ. وهذا هو دور الدين والمنهج الذي أرسله الخالق مع رسله، وزرع في الإنسان مبادئ أخلاقية مبدئية لتستوعب ما في الرسالة الربانية.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "إن المطلوب هو حداثة جديدة تتبنى العلم والتكنولوجيا ولا تضرب بالقيم أو بالغاية الإنسانية عرض الحائط، حداثة تحيي العقل ولا تميت القلب، تنمي وجودنا المادي ولا تنكر الأبعاد الروحية لهذا الوجود، تعيش الحاضر دون أن تنكر التراث"[٢٥].

هل التمسك بالحق يورث عزة أم كبر؟

كم فرح أبي وأمي فور قراءتهم لإسمي في الصحيفة الرسمية اليومية لحصولي على المركز الأول على مستوى الدولة آنذاك في تخصصي. وتفاجأ أبي في اليوم التالي بزميل له، ابنته معي في نفس الدفعة، يقول لأبي مفتخرا: ابنتي حصلت على المركز الأول على مستوى الدولة. فقال له أبي: عجيب بماذا تفتخر؟ إن ابنتي هي الأولى والاسم في الصحيفة الرسمية اليومية، فانحرج زميله كثيرا. فأبي أقر حقيقة، وزميله تحايل على الحقيقة ورفضها. عندما أتذكر هذه القصة يخطر ببالي تعريف عجيب لمعنى الكبر على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال:

لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر! فقال رجل: إنَّ الرَّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس (صحيح مسلم)

نفهم من كلمات الحديث الشريف أن عدم تقبل الحقيقة ومحاولة التحايل على الحق هو تكبر. وظلم الناس تكبر أيضا باعتباره وضع الشيء في غير موضعه، وهو مجاوزة الحدّ والظلم بالتعدي على حق الناس. والذي هو ضد الحق. أما صاحب الحق فهو يخبر الحقيقة ويتمسك بالحق والعدل، فهذا واثق من نفسه. وهنا يتضح الفرق الكبير بين الثقة بالنفس والكبر. فالثقة بالنفس لها علاقة مباشرة بالحق، أما الكبر فهو مرتبط بالباطل.

يتساءل الكثير من غير المسلمين عن كلمات رسول الله معرفا فيها عن نفسه:

أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ (صحيح مسلم)

ويقولون: أليس هذا كبر؟ ونقول لهم: طالما ارتبط الخبر بالحق فهو ليس كبر.

قال الخالق عن رسوله: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (النجم:٣)

---

٢٥ https://٣arf.org/wiki/عبد_الوهاب_المسيري

فما يخبرنا به رسول الله هو وحي من الخالق وهي حقائق. كأن يعرف بطل الملاكمة عن نفسه ويقول: أنا بطل الملاكمة لهذا العام. وكما يعرف صاحب شهادة الدكتوراة عن نفسه ويقول: أنا الدكتور الفلاني.

سألتني إسبانية يوما قائلة: لماذا يصر الخالق على أنه هو الإله الوحيد ولا يقبل عبادة البشر لغيره، أليس هذا كبر؟

قلت لها: وهل تقبل الأم أما أخرى لأطفالها؟ هل تقبل الأم أن يعطي أطفالها لقب أمي لغيرها؟ لسان حال الأم يقول أنا من لي حق الاحترام والطاعة. ولا تعتبر الأم هنا متكبرة لأنها تقر الحقيقة، ولن يتساءل أحد ويستنكر حقيقة حقها هذا لأنه من المسلمات. وكذلك الحال على سبيل المثال بالنسبة لأي حاكم ومسؤول. فهل يقبل ملك البلاد أن يعطي شعبه لقب الملك لغيره؟

قال الخالق مخبرا عن نفسه: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (الحشر:٢٣)

المتكبر هي صفة كمال للخالق، وصفة نقص عند المخلوق. لأن المخلوق ليس مؤهل لهذه الصفة، فهو: بحاجة دائمة إلى الرزق والرعاية، الخ. فهو لا يعلم كل شيء، ولا يقدر على كل شيء، ولا يستطيع تجنب الموت. ومعنى اسم الخالق المتكبر هنا هو العظيم ذو الكبرياء، المتعالي عن صفات الخلق، وعن النقائص. المتكبر على العتاة من خلقه، والكبرياء هنا العظمة والملك، أو هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الخالق تعالى. فمن تكبر من البشر فكأنه لبس غير ثوبه. فهو كعامل النظافة في المستشفى على سبيل المثال، والذي ارتدى زي الطبيب وافتخر به، وهو لا يملك المؤهلات لذلك، فيكون في هذه الحالة خطر على المرضى ويجب أن يعاقب.

فالتكبر لا يلائم البشر، لأنهم غير مؤهلين له، فإذا دخل التكبر قلب الإنسان فإنه يجعله يظلم ويطغى ويمنع حقوق البشر. أما بالنسبة للخالق فمع صفته المتكبر فهو رحيم عدل عفو ورؤوف. وهو متكبر عن ظلم العباد، ومتكبر عن أن يكون منقادا لأحد. فهو طليق الإرادة سبحانه. قال تعالى في الحديث القدسي: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار.

فهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الرازق وما سواه مرزوق، وهو الباقي وما سواه يموت. اسم الله المتكبر ينشر السلام والسكينة بين الناس، فلا رحمة أكبر من رحمته. ولا علم أكبر من علمه. ولا قوة أكبر من قوته. فهو الكبير وما سواه صغير. ومعرفة اسم الله المتكبر تجعل الإنسان لا يلجأ إلا إليه ولا يخاف إلا منه، ولا يعبد غيره. والخالق هو الحق. قال الخالق معرفاً عن نفسه: ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (الحج:٦٢)

واسم الخالق (الحق) يعكس حقيقته، فكل أفعاله حق، وكل صفاته حق، وكلامه حق، وكل ما أمر به الخالق فهو حق ثابت، وكل ما نهى عنه فهو باطل زائل. وهكذا فكل شيء صحيح فهو حق، وكل شيء خطأ فهو باطل. هذا هو المفهوم الشامل لمصطلح الحق ومصطلح الباطل.

جاء الإسلام ليقيم الحق بخصوص خالق الكون أولاً، ثم ليقيم الحق بخصوص المخلوقات.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (فاطر: ٤٠)

الآية تشير هنا إلى أن عبادة غير الله تتضمن الادعاء بأنهم آلهة، والإله لابد أن يكون خالقًا، والدليل على أنه الخالق يكون إما بمشاهدة ما خلقه في الكون، وإما بوحي من الإله الذي ثبت أنه خالق، فإذا لم يكن لهذا الادعاء دليل، لا من خلق الكون المشهود، ولا من كلام الإله الخالق، كانت بالضرورة باطلة. والعزة والفخر مرتبطان بالعدل الذي جاء دين الإسلام ليقيمه على وجه الأرض. وذلك بوضع الأمور في نصابها وإعطاء كل ذي حق حقه.

فخر بالأولويات وتكبر بالتخلي عن المسؤوليات:

ذكر الخالق في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام حيث قال يوسف لعزيز مصر:

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (يوسف: ٥٥)

هنا مدح نبي الله يوسف نفسه، ويجوز مدح الشخص نفسه إذا لم يعرف الناس إمكانيات هذا الشخص إن احتاج الأمر، وذَكَرَ نبي الله يوسف أنَّه حفيظ أي؛ خازن أمين، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه. كأن يعرف الطبيب عن نفسه في حال وجود مريض، وكأن يعرف مهندس الحاسب الآلي عن نفسه في حال وجود خلل في الحاسب الآلي. لكن من يفتخر بنسبه فهذا من الكبر المذموم. ومن يفتخر بشكله فهذا من الكبر المذموم. فهذه من النعم التي يجب أن يشكر الإنسان الخالق عليها، لا لأن ينسبها لنفسه، فهو لم يجتهد الحصول عليها.

قال رسول الله: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر (صحيح مسلم)

إن معيار الأفضلية هو:

- استحضار مراقبة الخالق واستحضار علمه المطلق.
- مدى قوة علاقة الإنسان مع الخالق.
- تمحور حياة الإنسان حول وجود الخالق، بجعل الخالق أولوية في حياته.

- الإمكانيات والمؤهلات وحرية الاختيار، وبالتالي المسؤولية.

قال بريطاني ملحد يوما: كيف يعطي المؤمن للخالق أولوية على أولاده؟ كيف يعطي الأولوية لشيء لا يراه ومجهول بالنسبة له؟

قلت له: أنت الآن تعطي أولوية لعقلك الذي لا تراه وتعتمد عليه في الحكم على الأمور. وقد خذلك عقلك للأسف. كيف تثق بعقلك وهو لم يهديك إلى مصدر وجود هذا العقل؟

فخر بحق وكبر بباطل:

قالت لي سيدة أسترالية يوما: لماذا تتكلمين بهذه الثقة عن دينك؟ أليس هذا غرورا بإصرارك على أن دينك هو الحق؟

قلت لها: قد يتكلم غيري بنفس الإصرار وشدة الأسلوب وبنفس المزاج ويكون متكبر، نعم هذا صحيح، لأنه رفض الحق ودافع عن الباطل. لكن بالنسبة لي فهذا ليس كبر إنما هو فخر بالدين الصحيح. فالعزة والفخر على علاقة وثيقة بالحق، والكبر فهو مرتبط بالباطل.

قالت: ولماذا الحق معكم؟

قلت لها: الحق موجود بنا أو بدوننا، ولكن ببساطة نحن من اخترنا أن نكون مع الحق.

قلت لها أيضا: المسلم عنده العامل المشترك بين الجميع وهو الإيمان بالخالق، وهي حقيقة مُسلَّم بها عند الجميع حتى لو أنكروا، فالجميع يلجأ إلى الخالق (القوة التي في السماء) في المحن بما فيهم الملحدون والبوذيون. أما تجسد الخالق الذي هو أساس عقائد أهل الأرض ما عدا المسلمين فهو عبارة عن مفهوم غير منطقي ولا يليق بجلال الخالق، وهو لغز باعتراف المؤمنين به، ودين الخالق الصحيح ليس فيه ألغاز. وهذه هي صفات الدين الحق. والتي يجب أن يستسلم الإنسان للخالق بقبولها.

قال الخالق: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (آل عمران:١٣٩)

فالمؤمن بالدين الحق أعلى مكانة من غيره بعقلانيته ومنطقه الذي هداه لاختيار الدين الحق. تماما كالطالب المجتهد الذي تميز عن أقرانه في المدرسة باختيار الإجابات الصحيحة في ورقة الاختبار.

قال تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (المنافقون:٨)

بين العولمة وصناعة التفاهة

يقول أحد المستشرقين: "إذا أردت أن تهدم حضارة أمّة فهناك وسائل ثلاث: اهدم الأسرة والتعليم وأسقط القدوات والمرجعيات. ويشكل هدم الحضارات نتيجة حتمية لأفكار الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه الذي دعى إلى هدم المرجعيات والسرديات الكبرى".

فمن أراد أن يتخذ الحجر إلها فهذا صحيح بالنسبة له، ومن عبد البقر فهذا صحيح بالنسبة له، ومن رأى الزنا مناسبا فهذا صحيح بالنسبة له، ومن تكون السرقة في مصلحته فهذا صحيح بالنسبة له، حتى تشوهت المعايير والقيم.

لقد أدى تشوه المعايير الأخلاقية وتغييب منظومات المبادئ الرفيعة والمفاهيم العليا إلى تسهيل صعود السطحيين فكرياً والمنحلين أخلاقياً ووصولهم إلى مراكز القرار في الإدارة والتجارة والتعليم وتمكّنهم منها، في سابقة تاريخية لم تشهدها أية مرحلة حضاريةٍ أخرى.

إن هوية الإنسان تتغير في كل لحظة، حسب مشاهدته للفضائيات، أو استخدامه للتكنولوجيا أو تعصبه لفريق كرة قدم مثلاً. لقد صنعت العولمة منه إنسانًا معقدًا. الخائن أصبح صاحب وجهة نظر. والشاذ أصبح صاحب سلوك طبيعي، وأصبح لديه الصلاحية القانونية للمشاركة في نقاشات علنية، بل وعلينا دعمه والتصالح معه. وأصبحت الغَلبة لمن لديه التكنولوجيا، فإذا كان الشاذ هو الطرف الذي يمتلك أسباب القوة، فسيفرض على الطرف الآخر قناعاته. مما أدى إلى إفساد علاقة الإنسان بنفسه وبمُجتمعه وبخالقه.

فالإيمان بخالق الكون، واحترام قوانين الكون التي خلقها لنا، والالتزام بأوامره ونواهيه، ومعرفة هدف وجودنا، هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة. هذا قرار بين الإنسان ونفسه، إما أن يكون شي أو أن يكون لا شيء.

كل يعمل على شاكلته:

عند قراءتي لكتاب "نظام التفاهة" الذي كتبه باللغة الفرنسية الفيلسوف الكندي" آلآن دونو"، كان قد لفت نظري ما ذكره عن العمل الدؤوب للتافهين. حيث قال: " إن التافهين لا يجلسون خاملين؛ إنهم يؤمنون أنهم يعرفون كيف يعملون بجهد، فالأمر يتطلّب مجهوداً للخروج ببرنامجٍ تلفزيونيٍّ ضخم أو ما شابه. فالجودة التقنيّة ضرورية لإخفاء الخمول الفكري الشديد الذي تنطوي عليه العديد من المِهن ذات الأفكار التافهة، من خلال التزامهم بالمتطلبات الدقيقة لهذا العمل. مع العلم أن ابتذال الأشخاص التافهين هو أمر يغيب عن بالهم هم أنفسهم".

تتجلى أدوات صناعة التفاهة في المشاهير والأثرياء الذين يتسارعون إلى الدفاع عما يسببه من كوارث مدمرة بيئياً وبشرياً. أما العمل الهادف الحقيقي فيختفي، إذ أن المطلوب هو فن بلاستيكي يُنتج سلعاً فنيةً لا تعكس سوى صورة التفاهة الاقتصادية.

كما تلعب وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي دور الأساس في التفاهة الحاصلة، عندما يسوق أشخاص تافهون للمنتوجات والسلع فقط لقاعدة الجماهير التي يجلبونها، دون علم حول خلفيات الموضوع. ويجب أن نعترف أن الإعلام له قوة مسيطرة على العالم ومفروض على الجميع، وليس لأحد السلطة على محاسبته.

أذكر هنا حوارا كنت قد شاهدته يوما مع ممثلة عربية كان قد نال منها الجهل ما لم ينل من أحد حيث قالت: كيف يخلق الخالق الديانات ويقول لهم كفروا بعضكم البعض، وهو الذي خلق هذه الديانات؟ وتقول الممثلة أن الديانات جميعها صحيحة بدليل أن الخالق قد خلقها.

كلماتها جعلتني أزداد يقينا أننا نعيش في عصر التسطيح الفكري وانعدام الثقافة، وأصبحت التفاهة هي سيدة الموقف، وتعرّف التفاهة بأنها كل شيء بلا قيمة أو محتوى أو معنى، وقد يتسع نطاق التعريف ليشمل الكثير من الممارسات غير الأخلاقية التي تتنافى مع قيم المجتمع والدين والموروث الثقافي أحياناً. وفى ظل هذه البيئات السيئة، يتحول سطحي التفكير إلى رمز، وذلك بما أتاحه الإعلام من إمكانيات هائلة للنشر والتأثير في الثقافة والقيم والوعي، وحولت حمقى وتافهين ومهرجين إلى مشاهير، والذين تجاوزت نسبة مشاهدتهم ومتابعتهم الملايين من الأفراد.

بل وصلت التفاهة إلى المزايدة على الدين ممن يسير بعض الناس خلفهم ويتخذونهم قدوة كصاحبة قصتنا هذه، فأصبحوا يلهثون وراء المادة أو الشهرة. وأرد بدوري على جهل هذه الممثلة قائلة: الخالق لم يخلق أديانا. الخالق خلق بشرا وزودهم عن طريق الرسل بدين واحد وهو عبارة عن نظام حياة.

إن الدين هو: مَجموعة العِلاقات وَالأخلاقِيّات وَالقِيم التي تَربُط الإنسان بِخالقه، وَبِالمُجتمع مِن حَولِه.

منذ عهد آدم أبو البشر، كان الخالق يختار الأتقى في قومه كرسول لهم كلما حُرِّفت رسالة النبي السابق وحادوا عن الطريق المستقيم، واختلفوا فيما بينهم بعبادة غير خالقهم، ولتقديم أجوبة شافية لهم عن الأسئلة الوجودية التي تدور في خلدهم (مصدر وجودهم والهدف من وجودهم ومآلهم بعد الموت).

قال الخالق: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... (النحل: ٣٦)

وقد استخدم الخالق في الآية السابقة صيغة الجمع في الإشارة إلى نفسه للدلالة على عظمته سبحانه وتعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصَدق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة.

ويمثل هذا الحديث الشريف أكبر شهادة لنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأكبر شهادة لدقة وموثوقية سند الحديث الشريف.

هدف نبيل:

أذكر تعليق لدبلوماسي غربي عندما كلمته عن وجود الخالق حيث قال: أنت تتكلمين عن أعظم حقيقة في الوجود. وقد أثار تعليقه مشاعر دفينة في نفسي، حيث أنني منذ أن بدأت طريقي في الدفاع عن حق الخالق في حواراتي ومحاضراتي وجولاتي حول العالم، شعرت بعدم الرغبة في الحديث عن أي موضوع آخر، حيث شعرت بتفاهة أي موضوع مقابل هذا الموضوع. بدأت لا أستمتع إلا بموضوع يقودني بالنهاية للحديث عن حق رب العالمين. فالحديث عن حق خالق الكون من الأهداف النبيلة التي تنقي قلب صاحبها من كل ما هو تافه.

وبطبيعة الحال الخالق لا يحتاج لدفاع البشر عن حقه. ولكن أساس مهمة البشر على كوكب الأرض هو إقامة العدل ووضع الأمور في نصابها. وذلك عن طريق الحفاظ على دين يضع العلاقة بين الخالق ومخلوقاته في المكان الصحيح. وإننا حتمًا، إذا لم نعبد الخالق، ينتهي بنا المطاف بعبادة "آلهة" أُخرى. فالقلب إما أن يتعلق بأمر مِن أمور الدنيا يسعى لتحقيقه ويجري ورائه للحصول عليه، أو يتعلق بخالقه وأصل وجوده، وبالتالي فإن رغباتنا وأهوائَنا قد تستَعبدنا دون أن نشعر. في حين أن ربط قلوبنا بالله عزّ وجَل وبالآخرة تُخرجنا من حلقة الاستعباد لغيره، وربّ العالمين هو خالقنا وهو أحق من نلجأ إليه ونستعين به.

كثيراً من الناس ينجذبون إلى الشُهرة والمُوضة. كما أن الإعلانات ووسائط التواصل الاجتماعي تَشد اهتمام الناس بشَكل مُفرط، ولها دَوْر كبير في بث مفاهيم قاصرة تدعو للاهتمام بالجزيئات وتشتيت الأولويات، وهذا كُلّهُ يُسهِم في معاناتنا، ويجعلنا نعيش حياةً مضطربةً وغير سعيدة. كما أن بعض المعايير الاجتماعية وغيرها من الضغوط العائلية التي قد تفرض علينا مراعاة تقاليد ومفاهيم موروثة، تَشدّنا بعيداً عن المطلوب منّا في هذه الحياة وواجبنا تجاه الدين.

فنحن لا نملك في هذه الحياة إلا أن نقبل دعوة الخالق للإيمان به والتسليم له، لنكسب خيري الدُّنيا والأخرة، أو نرضى بالدنيا فتُهلِكنا، ويكون مصيرنا الجحيم.

بين مؤتمر قمة المحيط وأولويات البشر

ما لفت انتباهي مؤخرًا هو المطالبة بإلغاء إدراج المناهج الدينية في المدارس ورياض الأطفال في الوقت الذي يتحدث فيه العالم عن التثقيف البيئي الذي يساعد على حماية المحيطات.

فأين حق خالق المحيطات؟

قال الخالق: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (قريش:٣)

وكأن البشر اليوم يعبد الكون الذي هو (البيت)، ويتجاهل عبادة خالق البيت.

ما هي أولوية البشر اليوم؟

هل أولوية البشر حق خالق المخلوقات، أم حق المخلوقات؟

فقد أعلنت اليونسكو بمناسبة انعقاد مؤتمر قمة المحيط الواحد في بريست بفرنسا، عن تحديها هدفًا لنفسها يتمثَّل في إدراج التثقيف بالمحيطات في المناهج المدرسية لدولها الأعضاء المائة والثلاث والتسعين بحلول عام ٢٠٢٥. وتقوم وكالة الأمم المتحدة، سعيًا لتحقيق هذا الهدف، بإتاحة مجموعة أدوات موجهة لصانعي القرار، تتضمن إطارًا مرجعيًا مشتركًا للمحتوى التعليمي عن المحيطات. وسيكون بمثابة دعوة إلى العمل من أجل المحيط، حيث يحث قادة العالم وجميع القطاعات ذات الصلة على تعزيز الطموح، وحشد الشراكات وزيادة الاستثمار في النهج العلمية والمبتكرة لعكس اتجاه التدهور في صحة المحيطات. كما سيكون نداءً صريحًا للمجتمعات والشركات والأفراد للقيام بدورهم للحد من التلوث البحري والالتزام بالاستهلاك المسؤول لموارد المحيطات.

فتعجبت وقلت في نفسي: لماذا عندما يتحدث العالم عن أفضل حل لإنقاذ المخلوقات من محيطات ونباتات وحيوانات، فإنه لا يتحدث عن أفضل حل لإنقاذ البشرية بعد الموت، ويُروجون لصلاحية جميع الحلول وهي الأديان التي اخترعها البشر على الرغم من عدم منطقيتها. ومع كل هذا التجرأ على حق الخالق فإنهم ينادون بصحة كل هذا العقائد المنتهكة لحقه تعالى، وينادون بتجاهل إدراج التثقيف بما يتعلق بالدين الصحيح في المناهج الدراسية، والذي يقود إلى معرفة الدين الصحيح.

وقال تعالى: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (القصص: ٧٧)

نفهم من هذه الآية أهمية الحفاظ على البيئة، وأهمية التعاون في هذا الصدد للحصول على حياة كريمة. فاعتناق الدين الصحيح يحث على الحفاظ على البيئة أصلا.

ومن أكثر ما آثار تعجبي واستيائي خلال تجوالي حول العالم أنني وجدت أن كل ما يعرفه غير المسلم عن المسلم هو أنه يصلي ٥ مرات باليوم ويزكي ويصوم، لكن لا يعرف أن المسلم يؤمن بجميع الأنبياء من آدم إلى محمد بما فيهم المسيح وموسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين. وهذا بالتأكيد ما يعزز الفرقة والفجوة بين البشر ويجعل الدين عائقًا أمام تحقيق السلام.

معرفة الدين الصحيح تؤدي إلى نعيم أبدي، والاهتمام بحقوق المخلوقات لن يحمي المخلوقات من فناء حتمي. هل ستدوم الحياة على وجه الأرض حتى نقضي ما تبقى من أعمارنا نبحث عن حلول لإنقاذ ما سوف يفنى؟

يتوقع العلماء أن سرعة توسع الكون تتباطئ مع الزمن، إذ تشير الحسابات الرياضية إلى أن التمدد بعد الانفجار الكبير كان بمعدلات أعلى بكثير مما هي عليه الآن، ومع تباطؤ سرعة التوسع ستتفوق قوة الجاذبية على قوة الدفع إلى الخارج فيؤدي ذلك إلى اندفاع المجرات والمادة والطاقة نحو مركز مفترض للكون، كذلك يتجمع الزمكان في هذه النقطة فتنحسر الأبعاد وتتجمع في نقطة واحدة متناهية في الصغر يعود الكون إلى الحالة الأولى. وهذا ما يعرف بالانسحاق الكبير.

الانسحاق الشديد أو الانسحاق الكبير (بالإنجليزية: Big Crunch) في علم الكونيات المادية عكس عملية الانفجار العظيم، هي أحد السيناريوهات المحتملة لمصير الكون، والتي تفرض أن التوسع الحاصل للكون بسبب طاقة الانفجار الكبير ستتبدد وتنتهي بعد مدة من الزمان وستبدأ طاقة الجذب المركزية في لملمة أطراف الكون إلى أن يعود كتلة واحدة صغيرة في الحجم عالية الكثافة والكتلة.

بناءً على ذلك إذا افترضنا أن هذه الحياة عِبارة عن سَفينة غارقة بِرُكابها لا مَحالة حسب هذه الدراسات، فما الهدف من توفير وسائل الراحة على سطح هذه السفينة.

قال الخالق: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء: ١٠٤)

ولكن ما هي أوامر الخالق ونواهيه؟ تتمثل أوامر الخالق ونواهيه في هذه الآية الكريمة:

قال تعالى في سورة الأنعام: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)

تبدأ الآية بحق الخالق ثم بحقوق المخلوقات. وهذا المنهج الذي يجب أن يسير عليه جميع البشر.

وقال الخالق أيضًا: وَلاَ تفْسِدوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعوه خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيب مِّنَ المحْسِنِينَ (الأعراف:٥٥)

نفهم من هذه الآيات الكريمة أن ممارسة الدين الصحيح تحمي المجتمع والبيئة من جميع أنواع الفساد. فالإنسان هو المكلف الوحيد من بين المخلوقات والذي لديه حرية الاختيار بين الخير والشر. والتكليف هو جوهر مهمة الإنسان في هذه الحياة.

قال الخالق: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (الملك: ٢)

والدين الصحيح هو الذي يشرح للإنسان ما هو خير وما هو شر ليقوم هو بالتالي لفعل الخير وتجنب الشر مستخدمًا العقلانية، ومستخدمًا هذه الحرية التي مُنحت له. وكلما ابتعد البشر عن الدين الصحيح وزاد جهله به كلما زاد الخطر على المجتمع والبيئة، وازدادت نسبة التلوث وازدادت نسبة الجريمة.

وهذا ما نلاحظه الآن من انتشار الفساد والجرائم، وشباب لا يعرف أولوياته، ولا يحدد هدف لحياته. فالحل لمشكلة العالم اليوم ليس بإقصاء الدين عن المناهج الدراسية، ولا باعتماد صحة جميع الأديان، وإنما الحل هو بمعرفة الدين الصحيح، وممارسته من قبل الجميع، وإدراج الدين الصحيح في المناهج الدراسية.

وإن أصر بعض البشر على ممارسة دينه الخاطئ، فعلينا في هذه الحالة احترام حرية اختياره، ومعاملته بالحسنى، وعدم ظلمه وعدم بخسه حقه، وعدم قتله أو الاعتداء على حقوقه. ولكن من دون اعتماد دينه الخاطئ على أنه دين صحيح. قال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (المائدة: ٣٢)

وقال تعالى:وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (البقرة: ١٩٠)

وهكذا نستطيع أن نحصل على التعايش السلمي بين البشر، وليس باعتماد عقائد خاطئة على أنها صحيحة. فالدين الصحيح دين واحد. ولنبدأ بمؤتمر معرفة الدين الصحيح إضافة للسعي في المحافظة على البيئة والمحيطات وخلافه.

فقه الأولويات والتفكير الموضوعي (مؤتمر حوار الديانات)

مما أثار تعجبي واستيائي مؤخرًا أنه في الوقت الذي تعلو فيه المطالبات بالتخلي عن التراث الديني، تنطلق انتقادات لاذعة لمنتقدي بعض المطربين القدامى، وغضب شديد ممن يتكلم عنهم بسوء، وتصريحات من مؤسسات فنية وقومية بعدم السماح بالمساس بالتراث الفني. وقد سمعنا عن تمجيد البشر لأشخاص كانوا قد دافعوا عن قضيتهم باسم القضية والأرض، وباسم حق التعبير والصحافة والاعلام، ومع الدفاع عن هذه الحقوق تناسوا الدفاع عن حق الخالق.

قلت في نفسي: حقًا لقد فقد البشر التركيز والتفكير الموضوعي، ومعرفة ما يصلحهم وما لا يصلحهم. لقد اختلطت الأولويات عند البشر.

حوار الديانات:

في حوار لي مع مجموعة من زوار مؤتمر حوار الديانات من قساوسة ورهبان من جميع أنحاء العالم مؤخرًا في صدد الاهتمام بالتعايش السلمي، قد ذكرت أن التوحيد هو مفتاح لهذا التعايش.

وتذكرت حينها تلخيص بسيط سمعته وأعجبني كثيرًا عن النموذج الإسلامي لترتيب فقه الأولويات والتفكير الموضوعي[٢٦].

لقد بُعث محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب وقد كانت محاطة بحضارات تميزت بقمعها لشعوبها ودكتاتوريتها.

لقد مجدت الحضارة الفارسية "كسرى" الشخص البشر على أساس سياسي.

ومجدت حضارة الرومان "الشعب الروماني" على أساس سياسي فجعلت البشر إما روماني وإما بربري.

ومجدت الحضارة النصرانية "المسيح" الشخص البشر على اساس ديني وجعلت منه إله.

ومجدت حضارة اليهود "الشعب اليهودي" على أساس ديني فجعلت البشر إما يهودي وإما أُمّي.

فجاءت الحضارة الإسلامية ورفضت تمجيد محمد صلى الله عليه وسلم على أساس سياسي.

قال الخالق: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (آل عمران: ١٤٤)

ورفضت الحضارة الإسلامية تمجيد محمد عليه الصلاة والسلام على أساس ديني.

قال الخالق: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف: ١١٠)

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسوله (حديث صحيح)

---

٢٦ المهندس فاضل سليمان.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند موت رسول الله: من كان يعبد محمد فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (حديث صحيح)

ورفضت الحضارة الإسلامية تمجيد العرب على أساس سياسي.

قال رسول الله: مَن خرج من الطاعةِ، وفارق الجماعةَ، فمات، مات مِيتةً جاهليةً، ومن قاتل تحت رايةٍ عَمِيَّة، يغضبُ لعَصَبِيةٍ، أو يَدْعُو إلى عَصَبِيَّةٍ، أو ينصرُ عَصَبِيَّةً، فقُتِلَ، فقِتْلَةٌ جاهليةٌ، ومَن خرج على أمتي يَضْرِبُ بَرَّها وفاجرَها، ولا يتَحاشَا من مؤمنِها، ولا يَفِي لِذِي عُهْدَةٍ عَهْدَه، فليس مِنِّي، ولستُ منه (حديث صحيح)

ورفضت الحضارة الإسلامية تمجيد العرب على أساس ديني.

قال رسول الله: يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، "إن أكرمكم عند الله أتقاكم (حديث صحيح)

الخالق هو محور الكون:

قال الخالق: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام: ١٦٢)

لطالما أحببت أن أردد هذه الآيات التي تعطي وبصورة واضحة للإنسان سبب وجوده في هذه الدنيا. قال رسول الله:

إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأُتِيَ به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسُحبَ على وجهه ثم ألقي في النار (رواه مسلم)

نفهم من كلمات الحديث الشريف أن:

- الخالق هو محور الكون.
- حق الخالق هو محور الحياة.

- وجود الخالق هو قيمة الحياة.
- فمن غير وجود الخالق لا قيمة للحياة.

إن حتمية نهاية الحياة لهو أكبر مؤشر على عدم وجود قيمة لها من غير وجود للخالق. ومن عمل من أجل الدنيا والناس فسوف يأخذ أجره من الدنيا والناس ذكراً وتقديرًا وشهرة وتعظيمًا وتمجيدًا. أما الآخرة فلها قوانينها الخاصة.

في حوار لي مع أسرة لاتينية كان قد أصر أفرادها على تمجيد المسيح والرفع من مقامه لدرجة الألوهية، مبررين ذلك بحبهم له. حيث قلت لهم:

وهل إذا أحبت الفتاة والدها فإنها تتزوجه؟

الحب أنواع، والحبيب لا يغالي بحب حبيبه، ويعطيه الحق الذي يستحقه. حب المرأة لوالدها ليس كحبها لأخيها ولا حبها لزوجها أو ولدها. فكل منهم له حقه.

فحب الخالق يؤدي إلى إعطائه حقه وهو عبادته وحده، وحب المسيح يؤدي إلى إعطائه حقه وهو اتباع رسالته.

- إن أحب الإنسان بطلاً قوميًا يجب أن يتذكر أن حبه لخالقه يجب أن يكون أكبر. ودفاعه عن حق خالقه يجب أن يكون أقوى وأولى.
- إن أحب الإنسان من دافع عن حقه، فيجب أن يتذكر أن حبه لمن أعطاه هذا الحق أصلاً يجب أن يكون أقوى وأولى.
- إن أحب الإنسان من أنقذ حياته فيجب أن يتذكر أن حق من أعطاه هذه الحياة أصلاً يجب أن يكون أقوى وأولى.

التواصل مع الخالق أولوية:

عندما سئل أحد الفقهاء عن أولوية التواصل مع الخالق مباشرة من خلال الصلاة على التحلي بالأخلاق الحميدة قال:

الصلاة أولى لأنها ستقود الإنسان إلى التحلي بالأخلاق الحميدة حتمًا. وإن لم تنه الصلاة المؤمن عن الفحشاء والمنكر فيكون العيب هنا في ايمان المؤمن وكيفية تأديته للصلاة ودرجة خشوعه، وليس العيب في فكرة الصلاة نفسها، وعليه في هذه الحالة أن يراجع نفسه.

قال تعالى: اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (العنكبوت: ٤٥)

القضية وجوهر الأمر (موازين الآخرة)

دائمًا ما أكرر كلمات رائعة للدكتور عبد الوهاب المسيري والتي يقول فيها: "يعيش العالم اليوم أزمة نسيان جوهر الأمر، فيقف العالم بلا ركيزة أساسية جوهرية وهي المرجعية"[٢٧].

ويقول: "لقد فُقدت الذاكرة الإنسانية، والذاكرة الإنسانية هي ما تجعل الإنسان إنساناً. من خلال الذاكرة نتعلم ويصبح لنا تاريخ، من خلال الذاكرة نعرف الخير والشر، ونعرف الحق والباطل، وبالتالي نؤسس حياتنا على هذا الأساس ونختار بين الخير والشر. ولو نسينا جوهر الحياة، لتعلقت حياتنا بين السماء والأرض"[٢٨].

لم أجد أدق من قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب كشرح مبسط لمقولة الدكتور المسيري.

إن ما قدمه أبو طالب دفاعًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقارن بما يقدمه أيًا كان نصرة لقضايا المسلمين، ومع ذلك نهى الله عز وجل رسوله أن يستغفر لعمه.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
(التوبة:١١٣)

لم يغضب الرسول ولم يثر ولم يقل: هذا عمي، دافع عني وعن قضيتي. لماذا؟ لأن جوهر مهمة الرسول كبشر في هذه الحياة هو أن يكون حق الخالق على رأس قائمة أولوياته. وقضية نبي الله محمد وهي نشر الدين هي أساس كل قضية دينية اليوم، وأساس كل مقدس عند المسلم اليوم، ومع ذلك لم تكن أهم من القضية الأساسية وهي حق الخالق. ولو تبنى كل مسلم اليوم القضية الأساسية والجوهر الأساسي والهدف الأساسي لوجوده في الحياة وهو الدفاع عن حق الخالق، لحصل المسلمون على النصر والتمكين في مقدساتهم.

فلا يجب أن أغضب كمسلم إلا لانتهاك حق الخالق، ولا أحزن إلا على المساس بحق الخالق. فالخالق لا يسامح في انتهاك حقه. قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا
(النساء:٤٨)

---

٢٧ https://www.youtube.com/watch?v=rnAanzrDHcY

٢٨ https://www.youtube.com/watch?v=rnAanzrDHcY

فلا يجب أن يكون حق الخالق أهون الحقوق على المسلم. فأنا إذا أردت أن أعرف أولويات شخص ما أقابله في حياتي، فعلي فقط أن أنظر إلى ما يجعل هذا الشخص يتعصب ويغضب. هل حق الخالق أولوية في حياته؟

وكثيرًا ما نجد من الناس اليوم عندما يساعدهم إنسان ويخلص لهم المحبة والدعم، فيرددون عبارات عند التعامل معه أو الاصطدام بموضوع يخص أحبائهم مثل: أنت عزيز علي وساعدتني كثيرًا ولكن: والدي خط أحمر. زوجي لا أتهاون في حقه. أبنائي هم نقطة ضعفي. عائلتي حياتي. ونجدهم في المقابل يتهاونون في حق خالقهم. لكن ما هو حق الخالق؟

يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة:٦٢)

فحق الخالق بناءً على الآية الكريمة هو الإيمان به. لكن من هو الله المذكور بالآية؟ وما هي كيفية الإيمان به؟

هو الخالق الواحد الأحد الذي ليس له شريك في ملكه ولا ولد.

وكما اختار الخالق الأنبياء والرسل لإرشاد شعوبهم للدين الحق، فقد اختار أيضًا لهذه الشعوب أماكن مقدسة ليمارسوا شعائرهم فيها ولتعظيم هذه الأماكن وتوقيرها. فقد أمر الخالق آدم عليه السلام ببناء البيت الحرام في مكة، وبُني المسجد الأقصى في مدينة القدس بعده بأربعين عامًا[٢٩].

وقد جُعلت هذه الأماكن المقدسة لعبادة الله وحده وتنزيهه عن أي نقص، (مثل النسيان، الجهل، الخوف، أو التعب وغيرها من الصفات البشرية) سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرا.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (الأنبياء:١٠٥)

كما جُعلت هذه الأماكن خاصة بالمؤمنين الذين يكملون طريقهم بالإيمان بجميع أنبياء الله بما فيهم المسيح ومحمد عليهم الصلاة والسلام طالما سمعوا عن بعثتهم، الذين هم صفوة خلقه وحملة رسالاته وقد أكرمهم وأجلهم وعصمهم من الكفر، ونزههم عن مقارفة الكبائر (الزنا، القتل، السرقة، الخ). وجعل المؤمنين ببعثة النبي القادم يعذرهم أمام خالقهم.

ولقد تكفل الله بحماية رسله كما حمى وأنقذ رسوله عيسى المسيح من القتل والصلب، وحمى رسوله إبراهيم من النار، وموسى من فرعون وجنوده.

---

٢٩ https://islamqa.info/ar/answers/٢٠٩٣٦٦/من-اول-من-بنى-المسجد-الحرام-والمسجد-الاقصى

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (غافر:٥١)

قام نبي الخالق إبراهيم وأبنائه بتبليغ رسالة التوحيد في بيت المقدس ودعاهم إلى مكارم الأخلاق، فمن كان يعبد الخالق وحده من أتباع إبراهيم كان على دين الإسلام وهو الدين الحق، لكن من اتخذ قسيسًا أو قديسًا بينه وبين الخالق كانت هذه الطقوس بالضرورة من صنع البشر.

فأتباع النبي ابراهيم كان دائمًا عليهم عبادة الله وحده، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن إبراهيم رسول الله. وبعث الله النبي موسى لتصديق رسالة إبراهيم، وكان متوجهًا إلى بيت المقدس، أتباع النبي إبراهيم كان عليهم قبول النبي الجديد، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن موسى وإبراهيم رسل الله. لكن من رفض النبي الجديد موسى أو اتخذ قسيسًا أو قديسًا بينه وبين الخالق أو عبد صنمًا كان ممن كفروا بدين الله.

ودخل يوشع بن نون بيت المقدس وشهد أتباعه أيضًا بأن لا إله إلا الله، وكان على أتباع كل نبي جديد الإيمان بالنبي السابق والنبي القادم. ثم جاء النبي داوود وتبعه النبي سليمان ورفعا قواعد بيت لله في مدينة القدس وأتموا بنيانه لعبادة الله وتعظيمه بشهادة أن لا إله إلا الله. وعندما جاء المسيح عيسى لتصديق رسالة موسى، كان على أتباع موسى تصديق المسيح واتِّباعه، وشهادة أن لا إله الا الله، وأن المسيح، وموسى وإبراهيم رسل الله. فمن عبد المسيح وأمه مريم الصديقة كانت هذه الطقوس بالضرورة من صنع البشر. (على أنبياء الله جميعهم الصلاة والسلام).

وعندما جاء محمد عليه الصلاة والسلام لتصديق رسالة من قبله من الأنبياء، كان على أتباع المسيح وموسى قبول النبي الجديد المذكور لديهم في التوراة والإنجيل، وشهادة أن لا إله الا الله، وأن محمد، والمسيح، وموسى وإبراهيم رسل الله. فمن عبد النبي محمد أو توسل إليه أو طلب المعونة منه أو من آل بيته كانت هذه الطقوس بالضرورة باطلة ومن صنع البشر.

قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الأعراف: ١٥٧)

وكل رسالة سماوية تتفق مع سابقتها في أصل التوحيد وتختلف في الشريعة حسب حاجة البشر وتأتي الرسالة الجديدة كلما انحرف البشر عن الطريق وعبدوا غير الله. وهذه القاعدة تشمل جميع الأمم بما فيهم الهند والسند وغيرها.

قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (غافر:٧٨)

ولقد خلق الخالق المسيح بلا أب، كما خلق آدم من غير أب ولا أم، فهو يخلق ولا يلد سبحانه وتعالى. فأتباع المسيح كان عليهم عبادة الخالق وليس عبادة المسيح نفسه ولا أن يعتقدوا أنه ابن الله. وكان على اليهودي والنصراني ألا ينكروا نبوة نبي الله محمد. وهذا هو المقصود في الآية السابقة وهي:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة:٦٢)

وهذه هي شروط قبول النجاة والأمان بعد الموت. هذه الشروط كانت على مدى العقود والأزمان.

موازين الآخرة:

لنتخيل أن طلاب مدرسة في السنة النهائية مجتمعين أجمعوا على حب شخص ساعد الجميع وكان لا يترك فرصة للدفاع عن قضاياهم وحل مشاكلهم وتأمين الطعام والشراب اليومي لهم على نفقته الخاصة، ولكن لم يكن أصلاً مسجل في المدرسة ولم يستعد ليوم الاختبار وأهمل معرفة أساسيات شروط اجتياز الاختبار. هل للطلاب حق حينها بالمطالبة بأن يجتاز صديقهم الاختبار ويأخذ الشهادة فقط لأنه دافع عن قضاياهم؟

ماذا عليّ أن أفعل مع غير المسلم؟ كيف أكون متسامح معه؟

التسامح هو في احترام إرادة الاختيار التي وهبها الله للجميع، وإنصاف المسلم غير المسلم في التعامل معه، وعدم ظلمه ولا أن يبخسه حقه. ولكن في المقابل التسامح ليس في الاعتراف بالدين الخاطئ نفسه والتسليم به على أنه صواب.

كيف أعرف أن غير المسلم مات على دين خاطئ؟ في الواقع ليس مهمتي أن أعرف غير ما صرح به هو نفسه قبل موته. فمن عمل واجتهد في الدنيا فمن عظيم عدل الخالق أن يعجل ثوابه في الدنيا، ويخلد ذكره في ذاكرة البشر الذي عمل من أجلهم في حياته قبل موته، فيكون بذلك قد أخذه أجره من البشر حبًا وتقديرًا. لكن الآخرة وثوابها فلها قوانين أخرى ومعايير مختلفة.

ومعرفة كيف سوف يحاسبه الخالق وأين مصيره فهذا مرجعه إلى الخالق. ولا يجب الخلط بين الأمر الأخلاقي والعواطف الجياشة وتتمثل بتعزية ومواساة غير المسلم، والبر والإحسان إليه التي أمر بها الإسلام، وبين أمر عقدي يخص ثوابت الدين والذي ليس له شأن بالأخلاق، وهو طلب المغفرة من الله لغير المسلم الذي هو منهي عنه في الإسلام.

فالخالق هو من يتولى أمر غير المسلم بعد الموت ويطلب الخالق من المسلم ألا يتدخل فيما لا يعنيه. فلن يكون البشر أرحم من خالقهم بهم، والذي سوف يقرر أن يعاملهم بعد الموت برحمته أم بعدله.

لكن ما هو معيار حكمي على الأمور؟ وما هي المرجعية والمركزية التي أصدر أحكامي بناءً عليها؟

يجب أن يكون معيار المسلم ومركزية أخذ القرار وإطلاق الأحكام هو منهج خالقه. والمنهج وهو الدين الذي اختاره الخالق عبارة عن: طريقة تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وشرح كيفية التواصل معه. وطريقة تنظيم علاقة الإنسان بمن حوله من البشر وتحديد الحقوق والواجبات، وعلاقته بالكائنات الأخرى وكيفية التعامل معها. يجب أن أعبد الخالق وأتواصل معه بالطريقة التي اختارها هو وليس بطريقتي وهوى نفسي. فمن يريد أن يهدي والدته وردة على سبيل المثال، فيجب أن يختار وردة باللون الذي تحبه والدته وليس على هواه هو.

يقول الخالق: وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (الفرقان:٢٣)

فإنني إن لم أتبع منهج الخالق الصحيح فسينتهي بي المطاف باتباع مزاجي وهوى نفسي. وبالتالي إلى الضياع والهلاك.

يقول الدكتور المسيري: "دائمًا أنصح أصدقائي وتلاميذي أن يبتعدوا عن المعارك الصغيرة التي تُفرَض عليهم، والتي يمكن أن تستنزف الإنسان، بل وتقضي عليه"[٣٠].

علم الطاقة وتحقيق الرغبات

قال لي ياباني يومًا: سوف أروى لك قصة قصيرة. لقد كان هناك شخص ريفي يعيش في قرية نائية حيث يوجد الهدوء والأجواء الصافية والطبيعة الغناء. وفي يوم من الأيام قرر الرحيل للعيش في المدينة بصخبها وتعقيدها. وكان كلما واجه مشكلة حقيقية أنهكته، يبدأ بتذكر الطبيعة والهدوء والمنزل الريفي البسيط في القرية، ومن ثم يبدأ باللجوء إلي هذه الطبيعة بطلب المعونة منها. فهذا يجعله سعيداً ويمنحه الطمأنينة، فكل منا يستطيع تحقيق سعادته بنفسه، ويتخذ إلهه بنفسه.

فما أن انتهى من قصته حتى قلت له: الصحيح صحيح ولو اجتمع العالم على بطلانه.

قال: الصواب والخطأ نسبي، فما هو خطأ بالنسبة لكم، ممكن أن يكون صحيح لنا.

---

٣٠ كتاب رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر.

وهل إذا شعرت الزوجة بالحنين لوالدها فإنها تتزوجه؟ هل إذا دلك شخص على طريق المطار تركب على ظهره وتترك الطائرة؟ لماذا لا تطلب المعونة من خالق هذه المخلوقات؟

قال: أنتم المسلمون لا تفهموننا، الخالق لدينا يتحد مع كل شيء. هو في كل مكان.

وقال: لا يوجد نقطة بداية ولا نقطة نهاية لهذا الكون.

قلت له: كيف للخالق أن يكون في كل مكان؟ كلمة كل مكان تشمل دورات المياه والمصارف الصحية والمستنقعات المائية. تعالى الخالق عن ذلك علوًا كبيرا. هل تدخل أنت كبشر داخل التلفاز الذي صنعته بيديك؟ هل تصبح أنت وهاتفك المحمول والصورة التي تلتقطها بالهاتف شيئًا واحدًا. نحن نريد قوة منفصلة عنا لنجدتنا من متاعب الدنيا قبل الآخرة، لا لأن يتحد معنا لكي نفنى سويًا ويصبح كلانا بلا ملامح.

قال: معذرة يجب أن أغادر المكان فورًا.

قلت له: إلى أين؟

قال ماذا تقصدين؟

قلت له: هل تعرف إلى أين تذهب؟ ولماذا أنت هنا؟ ومن أين جئت؟

ارتبك الياباني جدًا للمفاجئة الكبيرة من أسئلتي وقال: أريد مغادرة المكان لأعود إلى الفندق.

وقال: كل عاقل يعرف من أين جاء وإلى أين يذهب.

قلت له: إذًا فأنت تستخدم عقلك في معرفة خطط حياتك اليومية وتُلغي عقلك لمعرفة رحلة حياتك الوجودية. من دون أن تعرف أجوبة على هذه الأسئلة الوجودية: من أين جئنا؟ لماذا نحن هنا؟ وإلى أين نذهب؟ فإنك في هذه الحالة ممن سفه نفسه.

قال تعالى: وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (البقرة: ١٣٠)

وهم علم الطاقة [٣١]:

واجهت نقاشًا قويًا مرة مع ثلاثة أشخاص من جنسيات مختلفة ويؤيدون علم الطاقة الذي انتشر حديثًا. أذكر أنني سألت سؤالاً لهؤلاء الأشخاص كمقدمة لشرح عن سبب توجه المسلمون بالصلاة إلى مكة المكرمة.

وقلت هل تعرفون لماذا؟

قالت امرأة مسنة وهي من دولة فنزويلا: أنا لا أعرف شيء، أنا أؤمن بنفسي فقط، وأؤمن بالبوذية، وأؤمن بالطبيعة.

قلت لها مازحة: إذًا فأنت تعبدين ثلاثة آلهة فقط. من خلق الطبيعة؟

قلت لها أيضًا: الطبيعة عبارة عن ماء وهواء وطاقة. الكون حادث بكل طاقته ومادته ومكانه وزمانه.

من خلقهم؟

قالت: لا يهمني.

وقالت: علم الطاقة أكد لنا أننا نستطيع أن نخلق أقدارنا بأنفسنا. نحن نطلب ونحصل على ما نتوقع من خلال قانون الجذب الكوني.

قلت لها: وهل كان وجودك في هذه الحياة بناءً على قرارك؟ قرري إذًا ألا تموتي. ورغم أنكِ استخدمتي كلمات مثل "علم" و"طاقة"، فإن هاتين الكلمتين ليستا في محلها، فلا علم الطاقة هو علم أصلاً، ولا الطاقة هي طاقة. هذه مصطلحات وهمية لمفاهيم وهمية.

قلت لها أيضًا: اسألي مجموعة من مختصين في علم الطاقة عن تفسيرهم لها، وستحصلين على إجابات مختلفة قطعًا. وستجدين أن كل مختص في علم الطاقة يدّعي أنه هو الذي لديه الحقيقة، وفي الحقيقة أن لا أحد منهم يمتلكها. فهم يقومون بحركات وطقوس ويتفوهون بكلمات ويصدرون همهمات أثناء إجرائهم للجر الوهمي للطاقة يدويًا، وبقصد أو من غير قصد يوهمون المريض بأنه عولج، وما فعلوه هو مجرد إشعار المريض براحة مؤقتة، فيظن الناس أن المختصين فعلا عالجوا المريض، فلا مختصو علم الطاقة يعلمون الحقيقة، ولا المرضى، ولا المصدقين لهم.

---

٣١ أن الأفكار الإيجابية أو السلبية تجلب تجارب إيجابية أو سلبية في حياة الشخص. يعتمد الاعتقاد على فكرة أن الناس وأفكارهم مصنوعة من "الطاقة النقية" وأن مثل هذه الطاقة يمكن أن تجتذب مثل الطاقة، مما يسمح للناس بتحسين صحتهم أو ثروتهم أو علاقاتهم الشخصية.

وعلى كل حال فإن الإيمان بقانون الجذب يعني أنك تطلبين من الكون. والإيمان بالخالق يعني أنك تطلبين من خالق الكون. فالكون مخلوق، والمخلوق ضعيف، وإلى زوال حتمي. وفاقد الشيء لا يعطيه. فلا يملك النفع والضر إلا خالق الكون الذي بيده الأمر والنهي. شعرت حينها المرأة بارتباك شديد وقالت: أنا معجبة جدًا بالبوذية.

قلت لها: إن الإسلام يُغلّب منطق العقل ويدعو إلى التأمل والتفكر. الإسلام يقول لك استعملي عقلك بالتأمل والتفكر والتفريق بين الحق والباطل. والإسلام يدعو إلى التفاؤل الذي يدفع إلى النشاط وإلى الأخذ بالأسباب، ولا يقول لك الإسلام أن مجرد التفاؤل يجذب النفع أو يدفع الضر! والبوذية تدعوكِ إلى التأمل السكوني الذي يُلغي عقلكِ. حيث بناءً على هذا التأمل يجب تعطيل العقل وتسكينه حتى يصل إلى مرحلة أشبه بالهلوسة. لا يوجد شيء في العلم المادي يسمى طاقة إيجابية وطاقة سلبية.

قلت أيضًا: دعاة فلسفات العلاج بالطاقة استخدموا كلمة "سالب" و"موجب". فقالوا بالطاقة السلبية والطاقة الإيجابية بمعناهما المادي وقالوا: إن الفكر السيئ أو الضار يطلق طاقة سلبية، بينما الفكر الجيد أو النافع أو السلمي يطلق طاقة إيجابية. فهل يفرز الفكر طاقات؟

لكن المدهش أنه لا يوجد لعلم الطاقة أي تعريف فيزيائي؛ فهي ليست الطاقة الكهرومغناطيسية، أو الطاقة الجاذبية ولا غير ذلك من مفاهيم الطاقة في الفيزياء. حينما ندرس الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وغيرها من العلوم في الولايات المتحدة الأميركية، ثم ندرسها بعد ذلك في اليابان أو روسيا أو الصين، فلن نجد اختلافا بينها.

ولن نكتشف -مثلا- أن قوانين الكهرومغناطيسية متنوعة بحسب الدولة، ولن تُنتِج تفاعلات كيميائية لنفس المواد موادًا أخرى متنوعة كل منها بحسب ثقافة عالم المختبر الذي يقوم بالتجربة. ولن نجد في كتاب ما أن الخلية تحتوي على الحمض النووي، وفي كتاب آخر أن نفس الخلية لا تحتوي عليه، وذلك بحسب الرأي الشخصي لكل مختص. والسبب في هذا التوافق يعود إلى كون المعلومات واحدة في كل مكان، وهي التي تفسر الأشياء بالشكل الصحيح، وأي تغيير للمعلومة العلمية بعد إثباتها يفرض على جميع الدول تغيير معلوماتها لتكون موحدة.

قلت لها مستطردة: أما علم الطاقة فليس له أي رياضيات تفسره، ولا توجد له أي قياسات علمية ولو بصورة غير مباشرة، كل ما يتوفر في هذا الحقل هو سرد قصصي وصياغة كلامية جيدة، وتجارب شخصية غير مبنية على العلم، ومشاعر نفسية يشعر بها الشخص (كل هذه المشاعر لها تفسيرات علمية لا علاقة لأي منها بطاقة خفية).

علم الطاقة هو عبارة عن لفظة دينية فقط، مستخدمة عند الوثنيين في شرق آسيا، وليست توصيفًا لشيء علمي مادي يمكن اختباره أو تناوله أو التعامل معه. ولذلك تسمى الطاقة غير الفيزيائية علمًا زائفًا. فالسالب والموجب في الفيزياء هو تقسيم افتراضي. فلو قلنا: إن أيونات "س" هي أيونات سالبة، وأيونات "ص" هي أيونات موجبة.

فهذا تقرير افتراضي في الفيزياء لتسهيل المعادلات لا أكثر. ولو عكسنا وقلنا: إن أيونات "س" هي الموجبة. فلا إشكال، فالأمر افتراضي فقط للتمييز. والأماكن متعادلة الشحنة، فلا يوجد مكان بطاقة سلبية وآخر بطاقة ايجابية.

تقول روندا بايرن إحدى أشهر دعاة قانون الجذب: "أنت إله في جسد مادي"، وهذا مما أدى إلى تقديس النفس البشرية. وأدى إلى تعظيم الدنيا وجعل من شهواتها منتهى الرغبات. لكن الرغبات يجب أن تكون وسيلة وليس غاية. والحياة الدنيا بداية لرحلة أبدية يستأنفها الإنسان بعد الموت بالبعث والحساب، ومن ثم الجزاء.

وقلت مستطردة: أنتم تعيبون على المؤمن إيمانه بما هو غيبي، بينما تقوم مفاهيمكم كاملة على الغيبيات. تؤمنون بالطاقة الكونية والروح الكلية. وهذا غيبيات. وتطلبون المنفعة وتدفعون الضر باللجوء إلى التمائم والطلاسم.

كل ما تقومون به هو فقط محاولات تثبت أنكم بحاجة. بحاجة إلى الأمان بحاجة إلى العون، بحاجة إلى تحصيل الخير، بحاجة إلى دفع الشر، وهذا لن تحصلوا عليه إلا باللجوء إلى خالق الكون. كل ما تتبنون من مفاهيم وتهربكم من المفهوم الحقيقي للخالق في دين الإسلام لتتخلوا عن المسؤوليات. فلا تريدون حساب ولا عقاب. فيفلت المجرم من الحساب عن جريمة قتل ارتكبها، ويسعد السارق بسرقته لأمانه من العقاب. فهل إذا خشي الطالب من الاختبار له الحق حينها أن يلغي وجود مدير المدرسة؟

ويعتبر الإسلام أن وجودنا في هذه الدنيا هو لهدف وغاية سامية وهي معرفة الله عز وجل وعبادته بالتوجه إليه مباشرة. ورغم قصر الحياة الدنيا فهي بمثابة دار ابتلاء وامتحان للبشر ليتمايزوا على درجات ومراتب عند اقبالهم على الحياة الآخرة. ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقى سلاحه مهما تكاثر عليه الاعداء ومهما حاصرته الهموم لأنه يرى قدرة الله في كل شيء. ويرى مشيئة الله تفعل ولا سواها. والصمود امام المحال من صفات المؤمن لأنه يعلم انه يصارع بمعونة الله وليس بقوته الذاتية. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار.

ولهذا اقتضى الإيمان الإبتلاء لأن الكلام سهل ولأن كل واحد يدعي أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظه موتهم أنهم كانوا يحسنون صنعا واعتقدوا أنهم يستحقون التمجيد والإشادة. فلزم الإبتلاء حتى يصحو كل واحد على حقيقته وحتى يعلم منزلته. والله في غير حاجة إلى ابتلاء الإنسان فهو يعلم منازلنا منذ الأزل. ولكنا نحن الذين يلزمنا الإبتلاء حتى نعرف أنفسنا.

قلت لها استكمالاً للنقطة التي بدأت بها حواري معها: في الحج يجتمع كافة المسلمين في مكان ووقت واحد ويلبسون لباسًا واحدًا وبلون واحد، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعية، ويتداخلون فيما بينهم دون أي تمييز في أداء مناسك وشعائر الحج.

فقد جعل الله الكعبة البيت الحرام أول بيت للعبادة ورمز لوحدة المؤمنين حيث يتوجه إليه كافة المسلمين عند الصلاة فيشكلون دوائر من مختلف أرجاء الأرض ومركزها مكة. إن القرآن يقدم لنا مشاهد كثيرة من تفاعل العابدين مع الطبيعة حولهم كتسبيح وترتيل الجبال والطيور مع النبي داود "يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد".

إن الإسلام يؤكد في أكثر من موقف أن الكون بأكمله بما فيه من مخلوقات تسبح وتمجد رب العالمين. إن طبيعة كروية الأرض ودورانها حول نفسها وبعكس عقارب الساعة بتوافق مع حركة دوران الكون والتي بدورها تنشأ تعاقب الليل والنهار، وانضمام المسلمون بطوافهم حول الكعبة وبصلواتهم الخمس عبر اليوم من مختلف بقاع الأرض وباتجاه مكة يشكلون جزء من منظومة الكون في التواصل الدائم والمستمر في تمجيد وتسبيح رب العالمين. فمواقيت الصلاة التي تعتمد على شروق الشمس وغروبها. تجعل الصلاة لخالق الكون لا تتوقف على وجه الأرض. فما إن ينتهي مسلم من خمسة دقائق صلاة في مدينة ما مثلاً، فلسوف يبدأ مسلم آخر بالصلاة في مدينة أخرى وهكذا. وهذا مشهد يمثل أعظم وحدة وبهجة وراحة وسكينة، وإن وُجد لمصطلح الطاقة أصل فلسوف يكون هذا المشهد المهيب خير مثال لهذا المصطلح.

قال الخالق: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (الملك : ٣-٤)

قال الخالق: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (فصلت: ٥٣)

اليوم العالمي لعدم الاستسلام (قيم، مبادئ وأخلاق)

قال لي ألماني يوما: أنا أرى تنوع الديانات وتعدد الآلهة عند البشر شيء جميل جدا ويثري الثقافات، مع أنني أؤمن بإله واحد أحد وهو الخالق. فما الضرر من جعل المسيح صورة الخالق على الأرض كما عند النصارى، وجعل كريشنا صورة الخالق على الأرض كما عند الهندوسي، وهكذا.

قلت له: إذا كان هذا التعدد للآلهة عندك شي جميل، فهو بالنسبة للخالق جريمة كبرى، وخيانة عظمى، وعقابها الخلود في النار.

وقلت أيضا: كيف سيكون حال الإنسان لو كان يملك عقلين أو ثلاثة؟

لن يتردد الإنسان في هذه الحالة في قول إن الفوضى ستعم المكان وستتضارب الأحداث، بل ولن تستقيم الحياة إلا إذا كان لكل إنسان عقل واحد يوجّهه وينظم حياته ويحميه. فلو تأمل الإنسان في عقله لوجد الدليل على وحدانية الخالق كما هو الحال بضرورة وحدانية العقل. فكما أن العقل يرفض أن يتصور الإنسان بعقلين أو ثلاثة، فمن الضروري ألا يتصور وجود أكثر من خالق أو إله.

كل ما يعبد من غير الخالق لا يؤدي إلى الاستقرار:

وسألته أيضا: هل يغني رأيك الشخصي عن اتباع منهج خالق الكون؟

قال: ولكن الإنسان حر بما يعتقد.

قلت له: الحرية أمانة ومسؤولية، ووعي بالحق والالتزام به والإخلاص في طلبه. حريتنا في الاعتقاد والاختيار تسمح لنا بالتعايش السلمي، وهذا مطلوب، ولكن لا تستطيع جعلنا نقبل الخطأ على أنه صواب.

لم يعد للبشر مركز، ونعيش اليوم نحن البشر حالة تشتت وبحث عن شيء مركزي، فواقع البشر يجعله يغير كل شيء. ما هو المبدأ الذي يجب أن يتخذه الإنسان لنفسه لتحقيق سعادة أبدية؟

لقد بحثت كثيرا عن تعريف منطقي للمبادئ التي يرسمها البشر لأنفسهم، حتى سمعت عن اليوم العالمي لعدم الاستسلام، والذي أعلنته الأمم المتحدة.

يحتفل العالم بيوم الأمم المتحدة لعدم الاستسلام في الرابع والعشرين من أكتوبر تشرين الأول من كل عام، الذي يوافق الذكرى السنوية للميثاق التأسيسي للمنظمة. في رسالته بمناسبة هذا اليوم، قال أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إن الميثاق يجسد آمالنا "نحن الشعوب" وأحلامنا وتطلعاتنا.

وأضاف: "إذا كان عدم المساواة في ازدياد رغم تراجع الفقر المدقع، فنحن لا نستسلم لأننا نعلم أننا بالحد من عدم المساواة نفتح مزيدا من أبواب الأمل والفرص ونعزز السلام في جميع أنحاء العالم. لئن كان إيقاع تغير المناخ يتسارع، فإننا لا نستسلم لأننا نعلم أن مكافحة ذلك التغير هي سبيلنا الوحيد. وإذا كانت حقوق الإنسان تنتهك في أماكن عديدة، فنحن لا نستسلم لأننا نعلم أن احترام حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية شرط أساسي لتحقيق السلام. وإذا كان عدد النزاعات يتضاعف والناس يعانون، فنحن لا نستسلم لأننا نعلم أن كل رجل وكل امرأة وكل طفل يستحق حياة ينعم فيها بالسلام"[٣٢].

---

٣٢ https://news.un.org/ar/story/٢٠١٨/١٠/١٠١٩٩٧٢

هذا ما قاله أمين عام الأمم المتحدة في هذا الصدد. ولكن!! هل الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان ممكن أن تتحقق بعيدا عن التسليم بوجود الخالق الذي يحدد هذه الحقوق ويحدد منهاج شامل للحياة؟

هل أولوية البشر هي الحفاظ على حق خالق المناخ والمخلوقات أولا، أم الحفاظ على حق المخلوقات؟

هل فعلا يجب على البشر عدم الاستسلام؟ ولمن يجب ألا يستسلم البشر؟

هل حقيقة الموت تجعل من البشر قادر على عدم الاستسلام؟

هل يحق للبشر وضع حقوق وتعليمات ليسير عليها البشر؟

من الذي جعل الحق للإنسان؟ هل الإنسان هو الذي جعل الحق للإنسان؟ من أين له هذا الحق أصلاً؟ وإذا ثبت أنه لا حق له في تأسيس الحقوق، فما هو البديل إذًا؟

الإسلام هو الاستسلام لخالق الكون والوجود، وهو الاستسلام لحقيقة الموت والخلود بعد الموت.

قال الخالق في سورة الكهف: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)

يخبرنا الخالق في هذه الآيات الكريمة أن الناس قد تحسب أنها تفعل الخير، لكن جميع هذه الأعمال سوف تكون هباء يوم القيامة بسبب عدم تحقيق الشرط الأساسي وهو التسليم لرب العالمين وأن تكون هذه الأعمال ابتغاء الآجر من عنده.

حقوق وكرامة الإنسان:

الخالق (الله، بمعنى الإله الواحد الأحد الحق) مالك لما يخلق، فبالتالي إن تصرفه في الكون ليس لأنه هو الخالق فقط؛ بل هو المالك، وتصرفه عن قدرة وحكمه وعدل، وهو الوحيد الذي له الحق بتحديد الحقوق والحريات فيما يخص ملكه. لقد أسس دين الإسلام على مدى ١٤ قرنًا لحقوق وكرامة الإنسان:

قال الخالق: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات: ١٣)

إن المساواة بين البشر عبارة عن خصوصية أخلاقية وليست حقيقة طبيعية أو مادية أو عقلية، فالناس من المنظور المادي أو الطبيعي أو العقلي بلا شك غير متساوين فمنهم الطويل والقصير ومنهم الأبيض والأسود على سبيل المثال، وتأسيسًا على الإيمان بالخالق والدين فقط يستطيع البشر المطالبة بالمساواة، فالقول إن البشر متساوون ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقًا لله[٣٣].

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء: ١)

إن الأخلاق كظاهرة واقعية في الحياة الإنسانية لا يمكن تفسيرها تفسيرًا عقليًا، ولعل في هذا الحجة الأولى والعملية للدين. فالسلوك الأخلاقي، إما أنه لا معنى له، وإما أن له معنى في وجود الله، وليس هناك اختيار ثالث. فإما أن نسقط الأخلاق باعتبارها كومة من التعصبات، أو أن نُدْخل في المعادلة قيمة يمكن أن نسميها الخلود، فإذا توافر شرط الحياة الخالدة، وأن هناك عالمًا آخر غير هذا العالم، وأن الخالق موجود، بذلك يكون سلوك الإنسان الأخلاقي له معنى وله مبرر [٣٤].

المرء إذا كان حرا بعدم وضع حدود لملذاته ستعيش نفسه تعيسة، لأنها كلما ذاقت لذة افتقرت للذة أكبر فتشعر بالحرمان، أما الذي يقف عند حدود الله فهو راض سعيد يشعر أنه لا ينقصه شيء.

قرار وقيمة:

- عدم الاستسلام يعني تكرار المحاولات، فإما النصر بمعرفة الخالق والموت داعما لحقه تعالى، أو الموت مذموما مخذولا.
- عدم الاستسلام يعني إعادة تقييم الخطوات والتعلم من الأخطاء والتوبة.
- عدم الاستسلام يعني الثقة بوجود مخرج من كل مأزق والذي هو الثقة بالخالق.
- عدم الاستسلام خاصية للمؤمنين، الواثقين، المطمئنين، والأقوياء المثابرين الطموحين.
- عدم الاستسلام يعني الاستمتاع بالسعي لا بالنتيجة، وبالتالي الحصول على أروع مما نريد.

قال لي ملحد يوما: لقد جئنا من لا شيء وسوف نذهب إلى لا شيء.

---

٣٣ د. هيثم طلعت. كتاب الإلحاد الروحي.

٣٤ كتاب الإسلام بين الشرق والغرب. علي عزت بيجوفيتش.

قلت له: سوف أروي لك قصة رمزية. في أحد المواقع البنائية ذهب مدير العمل فشاهد ثلاثة عمال يقومون بتكسير بعض من الحجارة الصلبة الضخمة، فقام بسؤال كل منهم على حده، فسأل العامل الأول: ما الذي تفعله؟

فأجابه: أقوم بتكسير هذه الحجارة كما أمرني مديري في العمل.

وسأل الثاني: ما الذي تفعله؟

فأجابه: أقوم بعمل أشكال فنية جميلة بهذه الحجارة، ألا تعجبك؟!

وسأل الثالث: ما الذي تفعله؟

فأجابه: أنا أقوم ببناء ناطحات للسحاب، لا يوجد من هو أفضل منا بالعالم، أليس كذلك؟!

المغزى من القصة:

كل منا يرى الدنيا من وجهة نظره لذلك فبإمكان الجميع التغيير من حياتهم إلى الأفضل، فالعامل الأول رأى نفسه ليس مجرد إلا عبد ينفذ الأوامر المطلوبة منه بخلاف العامل الثاني الذي رأى نفسه فنانا تشكيليا والعامل الثالث الذي رأى نفسه شخصا لا يفوقه أحد ولا تعيقه أية حدود. فما هو قرارك؟ أن تكون شيء مهم وتعيش من أجل قيمة عليا، أم تكون لا شيء؟

قال: ما هي القيمة؟

قلت له: القيمة هي المحرك والمحفز عند الإنسان. ومثال ذلك، عندما يحضر الإنسان دورة تدريبية مثلا، فما هو الدافع عنده لحضور هذه الدورة؟ فالجواب هو قيمة العلم مثلا. أو من يذهب إلى نادي رياضي باستمرار، فما هو الدافع وراء هذا التصرف؟ فقيمته العالية هي الصحة واللياقة البدنية.

والقيم هي تفضيلات شخصية. والقيم بشكل عام هي صفات حميدة. ولكن الاختلاف بين الأشخاص في ترتيب الأولويات عنده في اختيار القيمة الأهم من هذه القيم. وحسب اختياره يتحدد مقامه عند خالقه. فقيمة الخلود بعد الموت والعمل لأجلها يجب أن تكون هدف كل إنسان.

قال: ما الفرق بين القيم والمبادئ؟

المبادئ هي فكرة أو قناعة يتبناها الإنسان. وقد تكون خاطئة على عكس القيم.

على سبيل المثال: شخصين لديهم قيمة الصدق عالية، وهي رقم واحد في قائمة أولوياته. لكن أحدهم عنده مبدأ بقطع علاقته مع من يكذب عليه مرة واحدة. لكن الشخص الثاني ممكن أن يعذر من كذب عليه ويعطيه فرصة أخرى.

قال: وماذا عن الأخلاق؟

قلت له: الأخلاق هي الفعل الذي ينتج من القيم. ويقال القيم للفرد والأخلاق المجتمع. ويقال إنه عندما تريد ان تغير أخلاق مجتمع فيجب أن تغير قيم أفراده. وقد آخى نبي الله محمد بين المهاجرين والأنصار، فرفع بذلك قيمة الأخوة، فنتج عن ذلك الأخلاق وكثير من الصفات الحميدة[٣٥].

لقد وجدت أخيرا بعد بحثي الطويل أن: القيمة العليا التي يجب أن يختارها البشر هي حق الخالق، والتي يجب أن تكون على رأس قائمة أولويات جميع البشر. والمبدأ الذي يجب أن يتخذه البشر هو أن المساس بحق الخالق هو خط أحمر بالنسبة له. والشعور بالعبودية للخالق يشعر الإنسان بالمساواة والعدل بين الناس، لأنهم جميعاً متساوون في صفة العبودية لله الواحد الأحد.

لذا فإن المجتمع الذي تسود فيه العبادة والعبودية للخالق لا يجد الناس فيه غاية في الحياة غير الخالق، ولا يملأ آفاق نفوسهم شيء غير العبودية له. فيحطّم الناس حينذاك أصنام العبوديات المختلفة، صنم المال، والشهوة، والجاه، والسلطة، والكبرياء، إلخ. ليكونوا أحراراً كما خلقوا، وكما أراد لهم خالقهم العظيم.

هناك قانون أخلاقي بداخل كل إنسان وهو الضمير كما يسميه الفيلسوف كانط. وهو قمة العدل. ولكن هذا القانون لا يلتزم به الإنسان، لأن الإنسان غرائز وحرية. فلا بد من قانون صارم ليجعل الإنسان يلتزم بقانونه الاخلاقي. ولكن هذا لا يكفي، فالقانون البشري فقط يعاقب المسيء ولا يكافئ المحسن إلا نادرا. ولكن القانون الإلهي يعاقب المسيء ويكافئ المحسن. وهنا الفرق.

في الغرب يزدهر سوق السحرة والعرافين، فآلاف من العرافين وقارئين الكف يعملون بشكل رسمي وبترخيص حكومي[٣٦]، ولهم مكاتب ومواقع الكترونية. ويعود الدين بشكل ملحوظ في حياة المجتمعات، بما يعيد البحث في السؤال القديم الجديد: هل يعتبر الإيمان حاجة مغروسة في حياتنا؟

وهذا يعني أنه وعندما تتعقد الحياة وتتعدد المرجعيات يصبح من السهل أكثر الرجوع بسبب المخاوف التي تعتري البشر إلى قوة عظيمة خفية. وإن قوة الإيمان تمكن الإنسان من مواجهة حقيقة الموت. عملت الفلسفة والعلوم وعلم النفس في الماضي على مواجهة اللاعقلانية.

---

[٣٥] يوتيوب. محمد باقيته. الفرق بين القيم والمبادئ والأخلاق.

[٣٦] مقال: إخراج الإنسان من تسلط الفوضى. كمال الذئب.

فقد حاول داروين على سبيل المثال بنظريته حول التطور إسقاط ما جاءت به الكتب السماوية عن وجود خالق. أما نيتشه فقد اعتبر أن «فكرة الآلهة» قد اخترعت للحد من طموح الإنسان وإخضاعه للقوى الغيبية، والتأكيد على عجزه الدائم أمام الحياة وأمام المجهول. أما فرويد فقد قارن المعتقدات الإيمانية للناس عبر العصور بحالة «النيفروز» الكونية التي ستشفى منها الإنسانية مع تقدمها وتطورها.

إلا أن هذه النظريات تراجع أثرها اليوم في الفلسفة وفي الفكر وفي الممارسة الاجتماعية، بعكس الإيمان في وجود الخالق الذي يتأكد يوماً بعد يوم. والإنسان يمضي في التعلق بأي شيء يربطه بالإيمان والاعتقاد مهما كان نوعه ومسماه.

فعلماء الفلك والفيزيائيون بعد أن كانوا يتحدثون عن «الانفجار الكبير» الذي تسبب في ايجاد الكون، أصبحوا يتساءلون اليوم عما قبل هذا الانفجار، وما قبل الحياة الفيزيائية. لقد بدؤوا يتحدثون عن إرادة ما وراء نشأة الكون، وعن هذه الصدفة العظيمة التي كانت وراء خلق هذا الكون.

وكذلك البيولوجيون الذين يرجعون كل أشكال الحياة إلى الجينات، يتحدثون اليوم عن المهندس الأكبر الذي برمج الحياة والوجود وأعطاهما معان محددة. ويقولون إن هذا المهندس لابد أن يكون أعلى وأسمى من البشر، ويجب أن يكون من خارج الكون. أي في النهاية لابد أن يكون الله وحده.

في الحقيقة، الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا توجد لديه أي مشاكل مع العلم؛ حيث ينظر المسلمون إلى الطبيعة على الدوام على أنها كتاب إلهي آخر، كتاب ثانٍ من الله ينبغي قراءته وفك ألغازه؛ لذلك انتشر بينهم القول أن الكون هو كتاب الله المشاهد أو المُعايش، مقارنة بالقرآن الذي هو كتاب الله المقروء، وهم مقتنعون بأنه لا يوجد أي تناقض فعلي بين العلم بالإلهيات والعلم الدنيوي...[٣٧].

نظرية الاستبدال الكبير وصناعة الجهل (قصة القرود الخمسة)

يتحدث غير المسلم اليوم عن نظرية تدعى بنظرية الاستبدال الكبير، والتي نشأت من خوف غير المسلم الشديد من انتشار الإسلام الكبير وازدياد أعداد المسلمين الملحوظ. مما أدى به إلى الاعتقاد أن هذه مؤامرة تريد الاطاحة به وتثبيت المسلم مكانه. وقد أصبحت هذه النظرية ذريعة لقتل المسلم وتعذيبه أو تهجيره من بلده.

ولكن ما القصة؟

---

٣٧ د. مراد هوفمان. دبلوماسي ألماني مسلم. كتاب خواء الذات والأدمغة المستعمرة.

قالت لي سيدة فرنسية يوما:

الحجاب ليس من الأمور الطبيعية لدينا.

قلت لها: سوف أروي لك قصة رمزية لحاكم قرية من القرى، عندما أصيب بمرض خطير، وقد قُطِع على أثره أنفه بناءً على طلب من طبيبه الخاص، وفي اليوم التالي لقطع أنفه، دخل الوزير على الملك فضحك اندهاشاً من منظر الملك، فغضب الملك، وأمر الطبيب أن يقطع أنف الوزير، وفي اليوم الثالث، ضحك الوزراء المساعدين مندهشين من منظر الوزير، فغضب الوزير، وأخبر الملك بالذي حدث فأمر الملك أن يقوم الطبيب بقطع أنوف الوزراء. وفي اليوم الرابع خرج الحاكم مع الوزير والوزراء المساعدين لحل بعض مشاكل الشعب، فضحك الشعب عليهم، وأمر الملك حينها أن يقوم الطبيب أيضاً بقطع أنوف جميع الشعب وأنوف من يولد من الأطفال، وأصبح سكان القرية كاملة بلا أنوف، وعندما جاء لاحقاً شخص طبيعي بأنف سليم من قرية أخرى لزيارة قريتهم، أشار الجميع إليه بالبنان وقالوا: هذا له أنف إنه ليس إنساناً طبيعياً. لكن الواقع هو أن من له أنف هو الطبيعي.

لقد تكفل الخالق بعودة الطبيعي دائما إلى المشهد حتى ولو بعد حين.

- الإيمان بأن لهذا الكون خالق عظيم هو الطبيعي.
- الإيمان بأن الخالق لا يتجسد في مخلوقاته هو الطبيعي.
- عبادة الخالق وحده بدون قديس ولا قسيس هو الطبيعي.
- عبادة الخالق بدون اللجوء إلى نبي الله محمد أو لأي فرد من آل بيته هو الطبيعي.
- الإيمان بجميع رسل الخالق من آدم إلى محمد بما فيهم موسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام هو الطبيعي.
- ستر الجسم وعدم التعري هو الطبيعي.
- زواج الذكر بالأنثى هو الطبيعي.
- علاقات داخل نطاق الزواج هو الطبيعي.
- لا فرق بين أبيض وأسود ولا غني أو فقير هو الطبيعي.

وإذا لم يقم الإنسان المستخلف -أفراداً وجماعات- بواجبه الديني والأخلاقي؛ فإن الله عز وجل يستبدله، ويأتي بغيره، يكون هذا المستخلف قادراً على الوفاء بواجب الاستخلاف، وهذا ظاهر جليا في قوله عز وجل:

وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (محمد:٣٨)

وهذه المهمة هي التي يرزق الله الإنسان فيها بالهواء والماء والطعام والشراب والصحة وغيرها من النعم، وهو أشبه بما يسمى دوليا (بدل الإقامة اليومي) لمن يسند إليه مهمة من مؤسسة معينة.

يشتمل بدل الإقامة اليومي على إجمالي مساهمة المؤسسة في مثل هذه الرسوم مثل السكن والوجبات وتكلفة النقل من مكان الإقامة إلى المركز الأول للعمل الرسمي والعكس صحيح والمدفوعات الأخرى المقدمة للخدمات الشخصية. لكن عندما يفشل المكلف بإتمام المهمة الموكلة إليه وينشغل بغير الهدف الموكل به، تقوم الشركة باستبداله.

وسُنة الاستبدال هي سنة كونية.

.... فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (فاطر:٤٣)

وتأتي السنن في القرآن الكريم باعتبارها؛ مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة، وتحكم جزئيتها ومفرداتها، فلا يشذ عنها مخلوق. وما في الكون ذرة أو حركة إلا لها قانون وسُنة، فكل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، الخ، إلا ولها قانون. وما من كوكب أو نجم، وإلا وله قانون لا إرادي أو لا ذاتي يسير وفقه. وما من حركة نفسية أو اجتماعية أو نقلة حضارية، إلا ولها قانون أيضاً يتجلى في الأسباب والعوامل المؤدية إليها. وبهذا المعنى تنقسم السنن إلى قسمين:

- سنن إجبارية: تجري على كل الكائنات الحية بما فيها الإنسان. وذلك كالولادة والموت والحياة وكالأوصاف الخلقية والحالات الفطرية للإنسان.

- سنن اختيارية: وهي القائمة على مستوى إرادة الإنسان الداخلة في دائرة القدرة الإنسانية. وهذا النوع من السنن هو أساس نجاح الإنسان أو فشله في مشروع الاستخلاف الموكل له بوصفه خليفة لله سبحانه وتعالى، بتعبير آخر، فالإنسان لن يحقق مشروع الاستخلاف كما ارتضاه الله، ولن يبني الحضارة والعمران المنشود، إلا عن طريق فهمه للسنن الإلهية وتسخيرها، ومنذ تلك اللحظة أصبحت السنن هي القانون الوجودي والكوني والتاريخي الذي يحكم عمران الإنسان واستخلافه.

ولا يعني الاستبدال الإبادة وهلاك الاستئصال للأفراد؛ بل قد يحدث أن تتحلل المجتمعات وتنهار قوى الأمم، ويمحى أثرها الاجتماعي والسياسي في حياة الناس القائمة.

ومع ذلك فإن عدد أفرادها ونسبة سكان مجتمعات هذه الأمة قد لا تتغير بل قد يزيد، وقد ينقص بسبب اهمال مؤسسية الزواج، واللجوء للمثلية وغيرها من الأسباب. لكنها تبقى أمم ممسوخة بلا ملامح ولا هدف.

فالمسلم الحق لا يتآمر ولا يخطط ولا يدبر للقضاء على عرق أو شعب، هو فقط مشغول بالمهمة الحقيقية التي تم تكليفه بها، وهي عمارة الأرض من خلال عبادة خالق الأرض، والخالق يتكفل بأمور تمكينه.

قال تعالى: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا (النساء:١٣٣)

صناعة الجهل:

وضع مجموعة من العلماء خمسة قرود في قفص واحد، كما وضعوا في وسطه سلم، وفي أعلاه وضعوا بعض الموز، وقاموا بالتجربة التالية: في كل مرة يحاول أحد القرود تسلق السلم لأخذ الموز، يقوم العلماء برش باقي القرود بالماء البارد. وبعد عدة محاولات من القرود الخمسة تسلق السلم لأخذ الموز، فقد ظهر سلوك معين لدى القردة، إذ أصبحوا يقومون بمنع وضرب كل قرد يحاول تسلق السلم حتى لا يرشهم أحد بالماء البارد.

وهكذا ترسخ السلوك بالقردة مع مرور الوقت، ولم يجرؤ أي منهم أن يصعد السلم لأخذ الموز، خوفا من الضرب، بعدها قرر العلماء أن يقوموا بتبديل أحد القرود الخمسة ويضعوا مكانه قردا جديدا. ومن الطبيعي أن أول ما يقوم به القرد الجديد هو محاولة صعود السلم ليأخذ الموز، لكن على الفور فإن الأربعة قردة الباقين يضربونه ويجبرونه على النزول. بعد عدة مرات من الضرب يفهم القرد الجديد بأن عليه ألا يصعد السلم مع أنه لا يدري ما السبب.

قام العلماء أيضا بتبديل قرد آخر من القدامى بقرد آخر جديد، وحل به ما حل بالقرد البديل الأول حتى أن القرد البديل الأول شارك زملائه بالضرب وهو لا يدري لماذا يضرب، وهكذا حتى تم تبديل جميع القرود الخمسة الأوائل بقرود جديدة، حتى تم تغيير كافة القرود الأولى وصار في القفص خمسة قرود جديدة لم يرش عليهم ماء بارد أبدا، ولا يعرفوا شيء عن ذلك الماء البارد، لكنهم استمروا بنفس السلوك، إذ كانوا يضربون أي قرد تسول إليه نفسه صعود السلم دون أن يعرفوا ما السبب.

للأسف هذا ما تصنعه المجتمعات اليوم، فهم يحاولون دائما أن يجعلوا البشر جهلة، وهم في بادئ الأمر يفعلون هكذا دون أن يعلموا لماذا يفعلون هذا ولكنهم يخطون خُطى السابقين. كثير من الناس يتطبعون بهذا الطبع مثل القرود تماما وهذا هو الجهل بعينه.

فهناك تصرفات عديدة في حياتنا، في منازلنا، في أماكن العمل، في محيطنا، ولا نعلم الأسباب الحقيقية من ورائها، ومع ذلك، فهناك من يستميت دفاعاً عنها بالرغم من عدم معرفته بالدوافع الحقيقية لها.

- يتوسل بعض البشر اليوم بحيوان أو صنم ولا يدري لماذا يفعل هذا.

- يلجأ البعض للقديس والقسيس ويستغيثون بالأموات ولا يعرفون لماذا.
- يشكر بعض البشر غير الخالق على النعم التي تحيطه والتي هي هبة من الخالق ولا يعرف لماذا.
- يتزوج الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى ولا يعرفون لماذا.
- يتزوج بعض البشر بالحيوان ولا يعرف لماذا
- يهاجم بعض البشر من سترت جسدها ويمجد من عرت نفسها من الثياب ولا يعرف لماذا.

هنا يجب على الإنسان أن يسأل نفسه حين يتصرف بسلوك ما. لماذا أتصرف هكذا؟ حتى يتبين له مكامن الخطأ ويتبين له السلوك الصحيح من السلوك الخاطئ، فلابد للإنسان من أن يبحث عن ذاته، ويستخدم العقلانية التي ميزه الله بها عن الحيوان قبل فوات الأوان.

إنسانية الإسلام (منظمة حقوق الطفل)

في حوار لي مع أعضاء منظمة دولية تعنى بحقوق الطفل سألني أحدهم: لماذا لا تتزوج المرأة أربع رجال كما يتزوج الرجل في الإسلام؟

قلت له: لأن الإسلام جاء ليقيم العدالة على وجه الأرض. ويعطي كل ذي حق حقه.

وسألت الحضور قائلة: ما هو أول حق من حقوق الطفل؟

قال أحدهم: الحب.

قلت: أول حق من حقوق الطفل أن يعرف والده. الذي سوف يمنحه الحب والحنان حين يعيش معه حياة كريمة.

وقلت أيضا: وحق الطفل في الحياة أيضا.

قال أحدهم: وكيف ذلك؟

قلت له: وفقاً لتقرير صندوق الأمم المتحدة عن حالة سكان العالم لعام ٢٠٢٢، فإن ما يقرب من نصف جميع حالات الحمل في جميع أنحاء العالم غير مرغوب بها، وقد ينتهي أكثر من ٦٠ في المائة منها بالإجهاض. يجرى سنوياً نحو ٧٣ مليون حالة إجهاض متعمّد في جميع أنحاء العالم[٣٨].

وقلت أيضا: ماذا يعني هذا؟

أين حق هؤلاء الأطفال في الحياة؟

قال الخالق: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الإسراء: ٧٠)

ترتكز الإنسانية في المفهوم الغربي على الإيمان بالإنسان، والاعتقاد بقيمته واعتباره مقياس كل شيء، ويتم ذلك عن طريق تحقيق الحرية، وسبيل ذلك لديهم تحطيم ما يسمونه قيود العصر الوسيط ومقاومة الجمود والتقليد. وبذلك فإن الإنسانية أصبحت بمثابة إله يعبد من دون الخالق، فهي تجعل الإنسان مقياس كل شيء، وقادرًا على بلوغ حقه المطلق للتمتع بالحياة. عندما يضع البشر قيما انسانية (دين وضعي) فهي ليست قيما قابلة للصواب والخطأ والتعديل فقط، وإنما لا توفر أيضا الدافع الذي يجعل البشر يلتزمون بها.

إنها مجرد شعارات تجعل من الرفاهية والمتعة والراحة البشرية القيمة نفسها. هذه الشعارات لا تعطي للانسان قيمة أو غاية تتخطى متعته في هذه الأرض. وقد ينخدع بهذه الشعارات (دين وضعي) بعض الناس لبعض الوقت. لكن عند تطبيق هذه الشعارات سيضع الإنسان راحته ورفاهيته ومتعته فوق أي شعار.

إن المشرع البشري يَحْمل نفساً مركبة من الهوى والميل إلى المصلحة الذاتية، ومن ثم تجد التشريع الوضعي يجحف بطائفة على حساب أخرى. ونشاهد على سبيل المثال أن فريقا معينا في مؤسسة معينة - إن مسك زمام الإدارة - يشرع قانون تجميد الأجور مثلا، وإن انتقل إلى فريق معارضة الإدارة يؤلب رأي الجميع لرفع الأجور، وما ذاك إلا لأن واضعي القانون يراعون مصلحة الأشخاص في كل الأحوال. وأما التشريع الإلهي فإنه منزه عن هذه الملابسات، فالعدل الإلهي ساوى بين البشر، فلم يفضل أحداً على أحد، وإنما حصر معيار التفاضل في التقوى.

قال الخالق: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات:١٣)

---

٣٨ https://www.unfpa.org/ar/swp٢٠٢٢/impacts

وتتجلى في هذه الآية قمة الإنسانية. فدين الخالق يعطي للإنسان قيمة وغاية في هذه الحياة لا تتوقف عند حدود متعته وشهوته ولذته. دين الخالق يعطي للإنسان قيمة وغاية تتخطى ذاته. بأن يكون هدف الإنسان الأسمى هو رضا الخالق وحبه وتقواه وخشيته وجنة بعد الموت تحيا فيها مع الأبطال الحقيقيين من الأنبياء والصالحين الذين أفنوا أعمارهم وضحوا بأرواحهم من أجل قيم أعلى من مجرد رفاهية ومتع زائلة.

قال الخالق: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (النساء:٣٥)

وضعت جامعة هارفارد الأمريكية هذه الآية من سورة النساء في مدخل كلية القانون، حيث يتم تعليق أهم الأقوال التي تتحدث عن العدالة في تاريخ البشرية. ووضعت الآية الكريمة رقم ١٣٥ من سورة النساء على الحائط المقابل للمدخل الرئيسي لكلية القانون بجامعة هارفارد، وهو حائط مخصص لأهم العبارات التي قيلت عن العدالة عبر الأزمان. كما وضع شرح للآية ومعناها ولمحة صغيرة عن السورة التي جاءت فيها[٣٩].

وجاء في الشرح المرفق بترجمة الآية القرآنية أنها تؤكد على أهمية الصدق في الشهادة. وعن سورة النساء كتب أنها "تتعامل بشكل رئيسي مع التزامات ومسؤوليات المرأة في المجتمع الإسلامي"، وتشرح أيضاً أصول الميراث وقانون الأسرة. تتجلى رحمة الخالق ومحبته لخلقه قبل محبة البشر لبعضهم البعض في شريعته وأحكامه والتي هي خير ورحمة للخلق والتي جاءت لحفظ الضروريات الخمس التالية:

- حفظ دينهم.

قد أحسنت الأمة الإسلامية التعامل مع خالقها، لأنها تكون بذلك قد حافظت على دين يضع العلاقة بين الخالق ومخلوقاته في المكان الصحيح، وذلك بإعطاء الخالق حقه بالتواصل معه مباشرة، في الوقت الذي أساءت فيه الحضارات البشرية الأخرى التعامل مع الله، فقد كفرت به، وأشركت معه مَخلوقاته في الإيمان والعبادة، وأنزلته منازل لا تتلاءم مع جلاله وقدره كأن نسبوا له ولداً، أو أنه يتجسد في صورة حيوان أو حجر وما إلى ذلك.

- حفظ أنفسهم وأبدانهم.

---

٣٩ https://arabic.rt.com/news/٦٤٨٦٤٧-سورة_النساء_جامعة_هارفرد_الأمريكية/

فقال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (المائدة: ٣٢)

- حفظ عقولهم وأفكارهم والمتمثل بتحريم الخمر.

فالعقل إنما يوجد للاختيار بين البديلات. فبالتالي العقل يجب أن يكون موجوداً وسليماً وهو أساس التكليف. ويجب أن تكون مقاييسه صادقة لكي يستطيع الإنسان اختيار البديل الخير وتجنب البديل الشر. فليس من حق الإنسان أن يستر العقل الذي هو مناط التكليف من الله بشرب الخمر أو أي نوع من المسكرات. فكأنه عمد إلى النعمة الكبرى (العقل) التي هي منفذه إلى الإيمان بالله ومنفذه إلى التكليف ليعطله[٤٠].

وجميع التكاليف بعد ذلك بما فيها الصلاة والصوم وغيرها فرع للعقل التكليفي. والفطرة بطبيعتها سليمة فلا يجب افسادها. وبشرب الإنسان للخمر يكون كأنه رد إلى الله النعمة التي ميزه بها عن الحيوان.

- حفظ أعراضهم، أنسابهم وأولادهم المتمثل بتحريم الزنا.

المحافظة على كرامة المرأة؛ فإن إباحة الزنا يعني سلب المرأة كرامتها، وجعلها سلعة مهانة، والإسلام جاء لإكرام الناس، وبخاصة المرأة، بعد أن كانت في الجاهلية متاعاً يورَث، ومحلاً للإهانة والتحقير. والزنا من أسباب انتشار جرائم القتل وكثرتها، فقد يقتل الزوج زوجته وصديقها وقد يقتل الزاني زوج صديقته مثلاً. وحفظ الأنساب ومنع اختلاطها إنّ من أبرز دواعي تحريم الزنا وتحريم زواج المرأة بأكثر من رجل في الوقت ذاته؛ والذي يؤدي إلى اختلاطِ الأنساب، وذلك بنسبة الأبناء إلى غير آبائهم الحقيقيّين.

- حفظ أموالهم وممتلكاتهم المتمثل بالقوانين الصارمة ضد المجرمين.

في الواقع، لن يعترض على هذه الحدود والقوانين الصارمة إلا المجرمين وقطاع الطرق والمفسدين في الأرض لخوفهم على أنفسهم، والتي وُضعت للردع ولعقاب من يقصد الإفساد في الأرض، بدليل أنها تُعطَّل في حالات القتل الخطأ أو السرقة بسبب الجوع والحاجة الشديدة أو الاشتباه.

---

٤٠ من أقوال الشيخ محمد متولي الشعراوي.

الهدف الأولى بالمعاناة:

تدفع أندية كرة القدم الملايين لشراء لاعبين بغرض تكليفهم بمهمة بالنسبة لهم عظيمة وهي الفوز بالكأس الدوري. أساس تكليف اللاعب هو لياقته البدنية، والتي إن فشلت المحاولات بالمحافظة عليها تكون قد فشلت المهمة.

في فريق "بوروسيا دورتموند"، وضع المدرب "توماس توجل" نظامًا صارمًا للتغذية بالنسبة للاعبيه، يتضمن الامتناع عن تناول السكر المصنع والدقيق الأبيض. كما منع المدرب الحديث في الهاتف أثناء تناول اللاعبين للوجبات سوية. ويعمل لدى النادي طباخان يعدان "أطعمة الرياضيين"، وهي عبارة عن تشكيلة تحتوي على الأسماك واللحوم والخضروات والفاكهة، وكذلك الحلوى بعد الطعام.

ووصل الأمر بالنسبة ل "دورتموند" أن أصدر كتابًا بعنوان "الفارق هو ما يوجد في الطبق". ويوجد فصل في هذا الكتاب يتحدث عن الأطعمة الجيدة والأطعمة السيئة. كما يقدم اتحاد الكرة الألماني على موقعه على الانترنت نصائح للناشئين بخصوص التغذية السليمة. حتى أن الأمر يصل إلى تحديد مواعيد معينة للاعب للالتقاء بزوجته وأولاده، ومواعيد للنوم، إلخ. وما أشبه هذا الحال بحال عارضات الأزياء حول العالم واللاتي أساس مهمتهن هو شكل أجسادهن.

كتبت "كريستال رينية" عارضة الأزياء المثالية في كتاب "الجوع" الذي نشر عام ٢٠١٠، عن تجربتها في العمل كعارضة أزياء منذ صغر سنها. بينما كانت العارضات الأخريات يلجأن للحفاظ على أوزانهن بتناول القطن أو مناديل الورق، لأن ذلك يشعرهن بالشبع، ولكن بالتأكيد لا يمنحهن أية سعرات حرارية مفيدة لأجسادهن. وكان برنامج غذائهن يتضمن شرب فنجان من القهوة السوداء بدون سكر. وصرحت العارضة السوبر المثالية "كيت موس" عندما سألت عن فلسفتها في عرض الأزياء بأنها قالت "لا يوجد احساس جميل مثل الإحساس بالنحافة"[٤١].

وانتشرت بين الرياضيين مثلما هو الحال في المجتمع أيضًا وجود النباتيين أو من يقللون كثيرًا من تناول اللحوم ومن يركزون على تناول المنتجات الغذائية التي صنعت من خضروات وفواكه عضوية، ومن يتناول لحوم الأسماك فقط، ومن لا يأكل سوى ما سقط من الأشجار، أي أن كل النماذج موجودة بين الرياضيين.

فنفهم مما سبق أن البشر اليوم قد اختاروا أنواع مختلفة من المعاناة ليحققوا أهداف دنيوية، فالذي جعل فريق كرة قدم كريال مدريد مثلا متميز في مجاله هو وجود الخصم وهو فريق كرة قدم آخر، وبذله الجهد والصبر والتدريب والمعاناة في سبيل الفوز

---

٤١ https://www.dw.com/ar/نجوم-يغيرون-نظامهم-الغذائي-حفاظا-على-لياقتهم-البدنية/a-١٩٢١٣٩١٤

عليه. فمن دون وجود الخصم ومن دون بذل الجهد والمعاناة فلن يكون هناك فوز ولا نصر. فعلى سبيل المثال، فإنهم يقولون إن غير المتحجبة حرة! لكن في الواقع هي حبيسة الأهواء والرغبات.

وهي مقيدة بآراء الغير فيها. فهي أبدا ليست حرة بل مقيدة من كل جانب وخضعت لأكثر من جهة. بل الحرة هي التي لم تقيدها لا الأهواء ولا الرغبات ولا الآراء ولا أي شيء ولم يمنعها كل ما سبق من أن تكون خاضعة لأمر الخالق الإله الواحد.

والدين لا يرفض الحياة ولا يرفض العقل. والإسلام بالذات ينطلق من مبدأ حب الحياة والحرص عليها ورعايتها، ويحض على احترام العقل وعلى طلب العلم ويقدم شريعة عصرية توحد بين الروح والجسد في التئام فريد. لا الروح تطغى على الجسد ولا الجسد يطغى على الروح وإنما يتصرف الاثنان على أنهما واحد.

فهو لا يطلب منا أن نميت الشهوة والتي هي الخصم في مثال كرة القدم السابق، وإنما يطلب منا أن ننظمها ونوجهها في إطار العلاقة المشروعة والذي هو الجهد والمكابدة والمقاومة في نفس المثال. ومعيار التقوى عنده ليس الانقطاع للعبادة والعزلة والرهبانية. وإنما معيارها العمل.

تسبيح الروح لا بد أن يقترن بعمل اليدين وسعي القدمين من أجل خير المجتمع ونفعه. والصلاة لا يكفي فيها خشوع النفس وإنما لا بد أن يعبر الجسد عن الخشوع هو الآخر وفي ذات الوقت بالركوع والسجود. والصلاة الإسلامية هي رمز لهذه الوحدة التي لا تتجزأ بين الروح والجسد. الروح تخشع واللسان يسبح والجسد يركع.

إن موافقة الشريعة للعقل لا تعني أن تكون موافقة لجميع عقول الناس، لأن الاشكال ليس في العقل؛ وإنما في رأي انسان معين ومستوى الوعي لديه، لأنه المعترض غالباً يكون متأثر بالثقافة الغربية الغالبة ولا يعلم هذا؛ فيعامل العقل الغربي على أنه المعيار الذي تحاكم اليه الشريعة. فالمقابلة هنا ليست مع الشرع بل مع عقل ورأي انسان معين. الإسلام هو إيمان واستقامة! الاسلام الكامل هو؛ صحة الاعتقاد وأداء الفرائض وترك ايذاء الناس من جميع الوجوه.

الحرية: بين ملذات شخصية وصحوة عقلية (مفهوم العصا والجزرة)

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "تفشل المادية في تفسير إصرار الإنسان على أن يجد معنى في الكون ومركزاً له. وحينما لا يجد معنى له فإنه لا يستمر في الإنتاج المادي مثل الحيوان الأعجم، وإنما يتفسخ ويصبح عدمياً ويتعاطى المخدرات وينتحر ويرتكب الجرائم دون سبب مادي واضح. وقضية المعنى تزداد حدّة مع تزايد إشباع الجانب المادي في الإنسان؛ فكانت إنسانية الإنسان لصيقة بشيء آخر غير مادي"[٤٢].

فوراء كل قصة إلحادية ملذات شخصية. ووراء كل قصة إيمانية صحوة عقلية.

ملذات شخصية:

قال الخالق في سورة الزمر: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)

بمعنى، ما هو الوضع الأفضل للإنسان، أن يكون عبدا لإله واحد أم لآلهة كثيرة؟ فالخالق في الآية القرآنية لم يفترض إمكانية حصول الإنسان على الحرية المطلقة بعدم التسليم لإله كما يدعي بعض البشر اليوم. فالإنسان بطبيعة الحال لم يختر أسرته ولا موطنه ولا لونه ولا عرقه ولا حجمه. فهو عبد لخالقه في جميع أحواله. الخالق ينتظر من الإنسان أن يختار أن يكون عبدا له في الجوانب التي يمتلك فيها حرية الاختيار، وإلا فسيصبح الإنسان عبدا لأي شيء غير خالقه.

العبودية لله هي عكس العبودية في مفهومنا، فالعبودية في مفهومنا هي أن يأخذ السيد خير العبد، أما العبودية لله فهي على العكس، هي أن يُعطي السيد عبده ما لا حدود له من النعم، ويخلع عليه ما لا نهاية من الحماية من نفسه ومن المجتمع، وتهبه حرية من كل العبوديات الأخرى. فهي حرية ترفع من شأن الإنسان. فمن السهل أن يكون الإنسان حرا ليختار أن يسرق أو أن يزني أو حتى الزواج من الحيوان، وهذه هي الحرية بالمفهوم الغربي، لكن من الصعب أن يقاوم هذه الرغبات وينتصر عليها. والحرية بالمفهوم الإسلامي هو انتصار الإنسان على شهواته ورغباته ليثبت إنسانيته.

الحرية في الإسلام مفهوم مصيري، لأن الإسلام يحرر البشر من عبودية المشاعر، فقضية الحرية في التصور الإسلامي هي أكبر قضية في التاريخ الإنساني، لأن أقصى غاية الليبرالية هي أن تحرر الإنسان من سيطرة إنسان آخر مثله، والتي هي سلطة مادية لا تبالي بالإكراه المعنوي. أما الحرية في الإسلام تجعل الإنسان بقلب حر ومشاعر حرة لا يخاف إلا الخالق.

---

[٤٢] كتاب الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان.

فالتي اختارت أن تزني لكسب المال لوجود ضغوطات مادية واجتماعية عليها فهي في هذه الحالة قد حصلت على الحرية بالمفهوم الغربي، لكن هي في الواقع عبدة للضغوط المجتمعية في المفهوم الإسلامي، والذي قدم لها نوعا آخر من أنواع الحرية يضمن لها راحة أبدية في الدنيا والآخرة، وهي حرية المشاعر وتعلقها فقط بخالقها[٤٣].

قال لي أمريكي ملحد يوما: أنتم المسلمون مقيدون بالخوف من خالقكم. لماذا اخترتم هذه القيود التي ألزمتم بها أنفسكم؟ نحن الملحدون أحرار نفعل ما نريد.

قلت له: جميعنا بين الجزرة والعصا، ولكن الفكرة هي بمن يحمل العصا التي نخاف منها؟ نحن اخترنا أن نكون عباد لخالق الكون، وأنتم اخترتم أن تكونوا مستعبدين لكل شيء غير الخالق. كلنا نعيش بين العصا والجزرة. لكن مع من يجب أن تكون العصا؟

قال: لماذا لدى المسلم رهاب من الشواذ جنسيا؟

قلت له: من أخبرك أن المسلم يخاف من الشواذ؟

قلت أيضا: المسلم لا يتدخل في أمر الغير مادام الغير يمارسون ما يحلو لهم في منازلهم، وذنوبهم بينهم وبين خالقهم. فكما يمنع القانون المدني التجسس على المواطنين في منازلهم، يوجد في الإسلام أيضا مفهومي ذنوب السر والعلانية. الشريعة الإسلامية وضعت لحماية المجتمع من المؤثرات السلبية. وكل ما يأتي من الخالق هو لحماية المجتمع. لهذا يطبق قانون العقاب في الدنيا على الفعل العلني في المجتمع، ولا يطبق على مجرد الميل الشخصي.

فكما يمنع الأعزب نفسه من الزنا بمقاومة رغبته، وكما يجب أن يمنع – من لديه ميول للسرقة – نفسه من السرقة بمقاومة رغبته، يجب أن يمنع من لديه ميول مثلية نفسه بمقاومة رغبته. وهذا اختبار الإنسان في هذه الحياة. وهذا الحال يجري على كل الذنوب بما فيها شرب الخمر وغيرها. لو كنت عشت في خمسينيات القرن الماضي لكنت الآن من معارضي المثلية الجنسية.

قال: نعم. أنا كنت في الماضي معارض، والآن داعم. فكانت هذه رؤية طبيعية في الماضي، وقد تغيرت الآن.

قلت له: ما هو معيارك للحكم على الأمور بالصواب أو الخطأ؟ أهواء الإنسان، رغباته، وميوله تبقى متأثرة، أسيرة ومقيدة بكثير من الأمور، مثل التعليم مثلا، التربية، التجربة، الأعراف والضغوطات الاجتماعية، الخ. نحن بحاجة إلى قانون ثابت صالح لكل زمان ومكان. فالخمر والتدخين أصبحا في كثير من الدول عرف اجتماعي مقبول مع خطورته الكبيرة والمعروفة على المجتمع.

---

٤٣ من أقوال الدكتور نايف بن نهار.

قلت أيضا: تكمن المشكلة عند المثليين في أنهم يريدون تغيير أعراف المجتمع، وفرض ميولهم على الغير. وهذا لن يحدث في المجتمعات الإسلامية. لأننا في الإسلام لا نخضع للعرف الاجتماعي كما في بقية الديانات.

فهناك من يتهم المسلمين المتبعين لدينهم اليوم بالرجعية والتخلف لمجرد عدم قبول فعل الشذوذ في المجتمع. ونحن نقول إنه من خلقنا ورزقنا هو من وضع معيار التفريق بين الصواب والخطأ. أنت نفسك كنت يوما ما رافض للمثلية، قبلتها الآن وتغيرت آرائك. لكننا لم نتغير. لأننا ملتزمين بالقانون الإلهي، ولو استهزاء العالم بأسره منا. اليوم نجد التافهين يرتقون في مناصب رفيعة، الراقصين والمهرجين أصبحوا نجوم، وممثلي الأفلام الإباحية أصبحوا رواد الفن.

قال: وهل هذا خطأ؟

قلت له: السؤال هنا هو: ما الذي ينتج عن هذه الممارسات؟ ما هي آثار ذلك على المجتمع؟

هل ستخلق هذه التصرفات مجتمع متماسك يقدر قيمة الأسرة، ويعزز فكرة الخوف من الخالق؟ هل ستجعل المجتمع أقل اعتمادية على الكحول مثلا؟ هل ستقلل من مشكلة تعاطي المخدرات؟ هل ستقلل من نسبة الانتحار؟ انتشار الأفلام الإباحية وصعود التافهين ونجوم الشهرة والفن المثير للشهوات يفعل العكس تماما. فهو يدمر المجتمع بكل المقاييس.

قال: يبدو أن المسلم يؤمن أن الذنب والمتعة هما وجهان لعملة واحدة. هل يخلق الذنب المتعة؟ أم أن الكثير من الذنوب هي مصدر متعة للبشر.

قلت له: بالطبع لا. ليس بالضرورة. المتعة ممكن أن تكون مباحة.

إن خيار كل شخص فيما يتعلق بفعله للأمور هو قرار متشابه. فالقاتل الذي يمتهن القتل يفعل ذلك لأن القتل يشعره بمتعة. وأنت كملحد ليس لديك معيار أو طريقة لتقنع فيها هذا القاتل أن ما يفعله خاطئ. فكثير من الجرائم كانت سبب متعة لمرتكبيها. وهكذا يصبح الإنسان عبدا لمتعته الشخصية. المتعة تقلل من قدرة الإنسان على الاختيار الذاتي والتفريق بين الصواب والخطأ، وتثبط الهمة عن السيطرة على النفس.

العبودية للأهواء تثبط صاحبها عن إدراك الصواب من الخطأ. ولكن بالوعي ممكن أن يتدارك الإنسان نفسه. لهذا نريد نظام يقوي لدينا مفهوم التقوى. وهو درجة وعي الإنسان برقابة رب العالمين. البشر بحاجة لأن يخضعوا لمصدر أعلى وأسمى من تحليلاتهم الشخصية للصواب والخطأ.

التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حل لها ولا معنى، إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار. إنه شعور بطولي (لا شعور بطل) بل شعور إنسان عادي قام بأداء واجبه وتقبل قدره. فما اجتمعت الإنسانية والصدق في إنسان إلا وقاداه إلى الإسلام[٤٤].

والقرآن جاء على غاية الفصاحة في كافة المجالات، ترغيبًا كان أو ترهيبًا، زجرًا كان أو وعظًا أو غيرهما.

ففي الترغيب قوله تعالى في سورة السجدة: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

وفي الترهيب قوله تعالى في سورة إبراهيم:

وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٥–١٦)

ما الدافع الذي يدفع بالإنسان إلى إقامة الأخلاقيات والقيم وباحترام القوانين أو احترام الآخرين. أو ما الضابط الذي يضبط الإنسان ويجبره على فعل الخير وليس الشر. وإن قلتم بقوة القانون، فنرد ونقول: إن القانون لا يتوافر في كل زمان ومكان، ولا يكفي وحده لحل كافة النزاعات على المستوى المحلي والدولي. ومعظم تصرفات البشر تتم في معزل عن القانون وأعين الناس. ويكفي دليلاً على الحاجة للدين هو وجود هذا العدد الكبير من الديانات والتي تلجأ إليها غالبية أمم الأرض لتنظم حياتها وتضبط تصرفات شعوبها على أساس قوانين دينية. فكما نعلم أن الضابط الوحيد للإنسان هو معتقده الديني في حال غياب القانون.

فالوازع والرادع الوحيد للإنسان هو اعتقاده الداخلي بوجود رقيب عليه وحسيب، وهذا الاعتقاد في الأصل دفين وراسخ في وجدانه، يظهر بوضوح لدى الإنسان عندما يهم بفعلٍ خاطئ، حيث تتنازع لديه ملكات الخير والشر ويحاول إخفاء أي عمل فاضح عن أعين الناس، أو أي عمل تستنكره الفطرة السليمة. كل هذا دليل على وجود لمفهوم الدين والاعتقاد في أعماق النفس البشرية. فالدين والذي هو عبارة عن نظام حياة جاء ليملأ الفراغ الذي لا يمكن للقوانين الوضعية أن تملأه أو تُلزم العقول والقلوب به على اختلاف الزمان والمكان.

قال الملحد: ولكن المسلمون يؤذون غيرهم ويسرقون ويرتكبون الجرائم.

---

[٤٤] كتاب الإسلام بين الشرق والغرب/ بتصرف. علي عزت بيجوفيتش.

يوتيوب. SCDawah Channel

قلت له: أنا أتكلم عن الإسلام. أنا لا أتكلم عما يفعله المسلمون أو ما أفعله أنا أو ما تفعله دولة من الدول أو شعب من الشعوب. فإنه حين تصبح الديناميكية الاجتماعية مبنية على ثقافة المشاكل السياسية أو الاقتصادية وما شابه، فنجد أن ذلك سوف يؤثر على تعاملات الناس مع بعضهم البعض.

أنا أتكلم عن رسالة مثالية من الخالق تمنحنا أفضل طريقة بجودة عالية للحياة في هذا العالم. وأفضل طريقة للتعامل مع الناس في المجتمع. ورسالة تزودنا بطريقة مثالية للحصول على حياة أبدية سعيدة مع الخالق بسبب علاقتنا القوية به واتباع أوامره واجتناب نواهيه. فجميع القوانين البشرية الصماء لن تمنع المنحرف عن مبتغاه إلا الإسلام فهو يدير الإنسان حتى بما يفعله في الخفاء لأن هناك خالقا يراه.

بين الإلحاد ومفهوم الجزرة والعصا:

إنَّ أول من قدَّم نظرية الجزرة والعصا للتشجيع والتحفيز هو "جيرمي بنثام" في أوائل الثورة الصناعية عام ١٨٠٠م تقريباً، كما تم استخدامه في صحيفة أسترالية في تعليقها على تحفيز الإنتاجية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبعد ذلك تم تسجيل التعبير وتوثيقه في ملحق قاموس أكسفورد في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨م.

وهي تعني الطريقة التي تجمع بين عرض الثواب للحث على السلوك الصالح وتشجيع الفعل الجيد، وعرض العقاب لتثبيط السلوك المستهجن وتجنب الفعل السيء. وقد استمدها جيرمي من القصة القديمة التي تقول إن أفضل طريقة لتحريك البغل الذي يجر عربة هي أن تضع أمامه جزرة تتدلى بعيدة عن متناوله، وإذا لم يتحرك يضربه سائق العربة بالعصا من الخلف؛ فيتحرك إلى الأمام ويجر العربة معه طمعاً في الوصول إلى الجزرة لأكلها، ومن جهة أخرى ليهرب من الألم الواقع عليه من ضرب العصا.

وبهذه الطريقة تعمل نظرية التحفيز والامتثال لتحقيق هدفين الأول: هو الحصول على المنفعة والثواب والمكافأة التي تمثلها الجزرة. والهدف الثاني: تجنب الخوف والتهديد والعقاب والعنف والألم الذي تمثله العصا.

إن الدين والإلحاد يقومان على النقيض في منهج الحياة. فالإلحاد ربما يبدو رائعا لأول وهلة فهو يعطيك الحرية. يعطيك صكا مختوما بأن تفعل كل ما لا يخطر للشيطان على بال، فإنكار وجود الخالق والدنيا فانية والمتعة هي أقصى غاية الإنسان. الدين يقول لك أنت مذنب عليك أن تتوقف وتتوب وتشعر بعقدة الذنب. الإلحاد يقول لك أذنب واستبح المحرمات وأنت على حق. الإلحاد يبرر لك أبشع الجرائم باسم النسبية والعدمية والعبثية والحتمية المادية.

الإلحاد هو حكم سطحي كسول للغاية على قضية عميقة للغاية، قوية وثابتة، وممتلئة بالأدلة. مع حقيقة وجود في نفس الملحد يقين عميق بوجود الله. الدين يلزمك ويقيدك إذا أخطأت. الدين يؤسس لبداية العالم والإلحاد يؤسس لنهاية العالم.

الإلحـاد هو عرض للقضية الكبرى والتساؤلات العظيمة والمحيرة التي تشغل الإنسان بصورة سلبية، ويفترض الملحدون حتمية التزام الإنسان بهذه الصورة السلبية واعتناقها واعتبارها موقف حياتي دائم يحيا ويموت عليه. بينما يوجد مئات الأدلة على وجود الله كدليل السببية وغيرها من العديد من الأدلة، وعلى النقيض لا يوجد دليل علمي واحد يقول بما يزعمه الملحـد ومع ذلك يكابر الملحد بكل بساطة.

يقولون بأن العقل الإلحادي هو عقل يشبه أشعة إكس، يمكن أن يعطينا صورة لهيكل الإنسان العظمي، لكن لا يمكن أن ينقل لنا صورة الوجه الإنساني في أفراحه وأحزانه. الصـدفة مفهوم يستعمله الملحـد كي لا يفكر. والسمو الإنساني لم يكن من المُستطاع اكتشافه بواسطة علم الأحياء أو علم النفس، ولا بأي علم آخر؛ فالسمـو الإنساني مسألة روحية. فمن السهل على العلم بعد الملاحظات الموضوعية أن يُقرر أن اللامسـاواة بين الناس ممكنة جدًا، بل منطقية[٤٥].

وفي كل لحظة منذ ميلاد الإنسان حتى موته منذ يقظته فى أول ساعات الصباح حتى دخوله في الفراش لينام، وهو يتعرض لامتحان تلو الآخر. كل لحظة تطرح على الإنسان موقفا وتتطلب منه اختيارا بين بديلات! وهو في كل اختيار يكشف عن نوعية نفسه وعن مرتبته ومنزلته دون أن يدري[٤٦].

صحوة عقلية:

يقول ويل ديورانت: "للدين مائة روح، كل شيء إذا قضي في المرة الأولى، فإنه سوف يموت إلى الأبد، إلا الدين، فإنه لو قضي عليه مائة مرة، فإنه رغم ذلك سيظهر وتبعث فيه الحياة بعد ذلك[٤٧]".

أشهر مُلحد فرنسي ــ الفيلسوف الشهير (ميشال أونفريه) الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة. تمت استضافته على أشهر قناة C_NEWS مع أشهر مذيع في أشهر برنامج (وجها لوجه)، لينتقد الإسلام ويحتقر المسلمين، فصدمهم برأيه، وعلى الهواء مباشرة.

قال ميشال أونفراي: "أعتقد أن المسلمين يلقنوننا درساً مهماً، ولديهم كل الحق في ذلك. درس في كيفية مواجهة النزعة المادية. لأنهم بغض النظر عما نراه فيهم، أناس لديهم مثل أعلى. هم أناس يعتقدون أن بمقدورهم تجاوز الأفق المادي. هم أناس يمتلكون روحانية ونظاماً أخلاقياً يلتزمون به، وقيماً يعيشون بها.

---

[٤٥] الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان/ بتصرف. علي عزت بيجوفتش.

[٤٦] كتاب القرآن كائن حي. الدكتور مصطفى محمود.

[٤٧] كتاب الحضارة.

إنهم يعتقدون أنه يجب علينا أن نشعر بالخجل من قيامنا بالتخلص من كبار السن في مجتمعنا بإيداعهم دور العجزة. إنهم يحرمون المشاركة في العلاقات الجنسية هكذا مع أي طرف وبأي شكل ويعتبرون العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج لا يُشرف المرأة. أعتقد أن الأمر هنا لا يتعلق بامتلاك الماديات. بل هو متعلق لديهم بالشعور بالكرامة. لأن هؤلاء الناس يتمتعون بأخلاقيات الشرف. بينما فقدنا نحن أي إحساس بمعنى الشرف"[٤٨].

إن الإسلام ليس حزباً سياسيّاً قصاراه طلب السلطة! إنّه دين يهيمن على النفوس والأفكار، ويسوس الناس أولاً بالعقائد والعبادات والتقاليد التي يضعها، والأخلاق التي يربّي عليها، والتعاليم التي ينشرها، والشعائر التي يرفعها، والسلطة التنفيذيّة جزء من منهاجه[٤٩].

يقول إدوارد بيرك: "القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهذا القانون نُسِجَ بأحْكَم نظام حقوقي، وشريعة الإسلام هي أعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله، ولا يمكن فيما بعد" [٥٠].

فمن خصال الإنسان أنه عدو ما يجهل، ولهذا ترى الملحد عندما بحث عن ذات خالقه وهي خارج حدود عقله فجهل معرفة هذا الخالق فأصبح عدو ما يجهل. الإيمان علاقة مع الله مترجمة حُكماً في علاقة مع الآخرين ومع الطبيعة المخلوقة، إذ لا بدّ أن ينعكس الإيمان في التعامل اليوميّ، ولهذا كان حُسن المعاملة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والمحبّة من الإيمان الأصيل، ولا بدّ أن تُعاش في الذات أوّلاً، وإلّا أُفرغت تلك العبارات من معناها، وباتت مجرّد أُطر فارغة.

فعند جهلنا بحقيقة الأشياء وعدم معرفتنا بالأسباب المؤدية إلى النتائج الموجودة أمامنا، وبحال جهلنا لأي ظاهره كونية مادية، نتسارع بتعليق شماعة الصدفة لكونها لفظًا مريحًا لفضول البحث عن الأسباب الحقيقية التي خلفها. وعندما يتوصل العلم إلى العلل والأسباب لأي ظاهرة كونية لن تجد مجالًا للصدفة في مقابل ذلك الاكتشاف الدّال على السبب العلمي؛ فالصدفة مفهوم مؤقت نلجأ إليه ويزول بمجرد العلم بالقانون المُبيّن للسبب[٥١].

---

[٤٨] https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=MG1toLUtDDc

[٤٩] محمد الغزالي. كتاب سر تأخر العرب والمسلمين.

[٥٠] حميد جابر القرشي. كتاب لماذا نحن مسلمون.

[٥١] الإلحاد سخرية العقل. الدكتور يوسف السباعي.

يقولون إن الإنسان هو الذي ابتكر فكرة الإله حين شعر بالخوف من الطبيعة! واخترع الأديان ليتواصل مع هذا الإله. وفي عام ١٨٥٩م نشر داروين نظريته الخاصة بأصل الأنواع، بعدها بدأ علماء الآثار والحفريات في هدر حياتهم في عمليات حفر وتنقيب متواصلة من أجل إثبات النظرية!

حتى أن بعضهم بعد اليأس قام بتزييف حفريات لهذا الغرض! وجيش من العلماء البيولوجيين يسعى بشتى الطرق لإثباتها وسد ثغراتها وملء فجواتها! ونشط بعض الفيزيائيين في طرح أفكار لولبية لنشأة الكون. فلماذا لا يكون المُنكر للخالق هو الذي اخترع الإلحاد ليتواصل مع رغباته بلا حساب؟ فالمنطق يقول إنه من المستحيل أن تبتكر فكرة من العدم، ولكن ممكن رفض فكرة موجودة.

بالإيمان: تَحَرَرَ العقل من سائر الأوهام والضواغط ومصادر التّضليل، وصار عقلاً حرّاً متدبراً متفكّراً محلّلاً مستنبطاً، له منهج منضبط صارم في قبول المعارف ورفضها، سواء أكانت مقروءة أو مرويّة أو مسموعة، أو مستنبطة، تنتسب إلى عالم الغيب أو إلى عالم الشهادة[٥٢].

حوار الفاتيكان والتعايش السلمي

كم أسعدتني لحظات قمت خلالها بمحاورة بعض من بابوات الفاتيكان والوفد المرافق لهم مؤخرا بصدد تعزيز التعايش السلمي بين أتباع العقائد المختلفة. أذكر أنني شرحت بالتفصيل عقيدة الإسلام.

حيث قال أحدهم: إذاً أنتم لا تعبدون محمد؟

قلت له: المسلم لا يعبد نبي الله محمد.

قلت لهم: هل تعلمون ما معنى اسم" الله"؟

قال أحدهم: أخبرينا.

قلت لهم: لابد للإنسان من الإيمان بشيء، يمكن أن يسمي هذا الشيء إلهًا أو يسميه أي شي آخر، وقد يكون الإله شجرة أو نجمًا سينمائيا أو نجمًا في السماء، أو بطلاً قوميًا أو امرأة، أو رئيسه في العمل أو نظرية علمية أو حتى هوىً في نفسه.

---

[٥٢] كتاب دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين. الدكتور عبد المجيد النجار.

لكن لا بد له من الايمان بشيء يتبعه ويقدسه ويدافع عنه وعن حقوقه، ويرجع له في نهج حياته، وقد يموت لأجله وهذا ما نسميه العبادة.

واستطردت قائلة: ونجد هذا جليا في واقعنا اليوم، فمن البشر اليوم من يقدس لاعبين كرة القدم على سبيل المثال، ويطلقون عليهم لقب الإله، ويعتقدون أن الخالق يأتي في صورة لاعب القدم نفسه، كما هو الحال في الأرجنتين.

فالإسلام الذي يقول بأنه لا معبود يستحق العبادة إلا الخالق بصفاته المنزهة عن صفات البشر، الخالق الذي لم يلد ولم يولد ولا يتجسد في صورة إنسان أو حيوان، يحرر البشر من أي عبادة أخرى. لأن عقيدة التجسد هي أساس الوثنية، فمتى اعتقد البشر بتجسد الخالق في أي مخلوق، فبالتالي ممكن عبادة أي شيء.

فالخالق يخبرنا أنه تعالى يجب أن يكون الإله الواحد الأحد في حياة كل إنسان، وهذا تماما معنى مصطلح" الله". والتي تعني الإله الواحد الحقيقي. على سبيل المثال: أنا أدعى فاتن صبري، من الأردن وعندي ثلاثة من الأبناء. لو عدتم إلى بلادكم لتخبروا من حولكم أننا تحاورنا مع فاتن، وهي سيدة من دولة مصر ولديها عشرة من الأبناء، فأنتم في هذه الحالة تتكلمون عن سيدة أخرى، وليست فاتن الحقيقية.

وللخالق المثل الأعلى، فتغيير صفات الخالق وبياناته تجعل البشر يؤمنون بإله زائف، وليس الإله الحقيقي، فالخالق يخلق ولا يلد. إن الإيمان بأن الخالق له ولد أو يتجسد، يجعل البشر وكأنهم حين نسبوا صفات بشرية للخالق يتحدثون عن إله آخر تماما له صفات بشر فيصبح كالمخلوق، ولن يعتبر إله أصلا.

قال أحدهم: جميل جدا.

قلت لهم: كل إنسان سوف يلقى الخالق بعد الموت وحده.

الموت هو: أمر استدعاء لمقابلة ملك الملوك!

كل إنسان على وجه الأرض يجب أن يكون مستعدًا بأجوبة على ثلاثة أسئلة.

حينها قاطعني أحدهم بتعليق جانبي، فقال أحد القساوسة مباشرة: دعونا نتعرف على الأسئلة وإجاباتها.

واستطرد قائلا: ما هو السؤال الأول؟

فضحك الجميع من حرص القسيس على معرفة الأسئلة والاجابات.

قلت له: حسنا. السؤال الأول هو: من ربك؟ بمعنى، أنك قمت بتكريس جهدك، وقتك، مالك، وحبك لدعم أي فكرة وأي هدف؟ هل كانت أموالك إلهك؟ أم زوجتك والأولاد، تجارتك، العلم الحديث؟

هل كان محمد إلهك، المسيح، بوذا، كريشنا، ميسي، أم مارادونا؟

فضحك واندهش الجميع إعجابا بدقة التفاصيل.

استطردت قائلة: الإجابة الصحيحة يجب أن تكون: ربي الله الخالق الواحد الأحد الذي ليس له شريك في ملكه ولا ولد. وهو ليس ثالوثًا، ولا يأتي إلى الأرض في صورة إنسان أو حيوان أو حجر أو صنم.

قال: طبعا. طبعا.

وقال: ما السؤال الثاني؟

قلت له: السؤال الثاني هو: ما هو دينك؟ بمعنى، ما هو نظام الحياة الذي حرصت على اتباعه في حياتك؟ هل كان أهواءك ورغباتك؟ هل كان المجتمع ودين الآباء والأجداد، العادات، التقاليد، وسائل التواصل الاجتماعي؟

أم هو النظام الإلهي، الذي هو دين التوحيد؟

الإجابة يجب أن تكون: دين التوحيد وهو الإسلام. وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وعبادته مباشرة وليس من خلال قسيس ولا قديس ولا صنم أو حجر، ولا اللجوء إلى النبي محمد ولا آل بيته بالطلب.

قال: حسنا، وما الثالث؟

قلت له: من هو نبيك؟

بمعنى، من كان قدوتك، قائدك، أو مثلك الأعلى؟

والاجابة الصحيحة يجب أن تكون: محمد خاتم رسل الله. وبهذه الإجابة يكون قد أقر بالإيمان بجميع أنبياء الخالق من آدم إلى محمد بما فيهم المسيح وموسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

فعلى سبيل المثال، لو أراد هندوسيا أو بوذيا اعتناق الاسلام اليوم، فيجب عليه الإيمان بموسى والمسيح عيسى ويعقوب واسحاق، وإلا فلن يقبل اسلامه. وهذه ميزة لا تجدها إلا في الإسلام.

فأنا إذا أردت أن أعتنق المسيحية فيجب على أن أتخلى عن إيماني بنبي الله محمد. وإذا أردت اعتناق اليهودية يجب أن أخسر ايماني بالمسيح أيضا. أما إذا أردت أن اعتنق الهندوسية أو البوذية فيجب أن أخسر إيماني بأنبياء الله جميعهم. أما مع الاسلام فيجب الإيمان بهم جميعهم.

فمن مات على زمن ابراهيم عليه السلام، عندما سأل هذه الأسئلة، كان عليه أن يقول: الخالق ربي، التوحيد ديني، وابراهيم عليه السلام هو آخر رسل. وكذلك الحال في زمن المسيح وموسى وغيرهم من الأنبياء.

قال مازحا: حسنا، الآن أنا أعرف الإجابات جيدا.

ضحك الحضور من تعليقه، وقال الآخر: هذه معلومات جديدة ومفيدة، لم نكن نعلمها من قبل.

قال حينها أحد القساوسة: الخالق أراد أن يتواصل معنا عن طريق الكلمة. فالكلمة هي طريقة التواصل بين البشر وهي متجسده في ابنه الوحيد. والخالق قادر على كل شيء. وقد اختار الخالق هذه الطريقة للتواصل معنا، وقد تجسد الخالق في صورة بشر، والذي هو الكلمة نفسها وهذا هو لغز الإيمان الذي لن نفهمه إلا بعد الموت.

قلت له: الخالق يخلق ولا يلد. ولا يليق ويستحيل في حق الخالق، ويناقض صفاته، ومحال اجتماع النقيضين في حق الخالق (صفات نقص مع صفات كمال). فالتجسد نقص (ضعف واحتياج وفقر وذل ومهانه. والفكرة ليست متعلقة بما يستطيع الخالق فعله أصلا، بل بما هي طبيعة الخالق. فالتجسد حجة غير منطقية. فلن يكون الخالق موجود وغير موجود في الوقت نفسه. ولن يكون إله وبشر في الوقت نفسه. ولن يكون كلي القدرة وضعيف في الوقت نفسه.

قلت له أيضا: لو افترضنا مدرس مادة معينة يشرح للطلاب طوال السنة الدراسية المنهج الدراسي، ليأتي في نهاية العام ليضع أسئلة الاختبار، في هذه الحالة سوف تكون الأسئلة من مادة المنهج، فلن يقوم المدرس بوضع ألغاز في ورقة الاختبار، لأنه ببساطة يريد للطلاب اجتياز الاختبار مستخدمين عقلانيتهم.

قلت مستطردة: هل تعلمون ما هو أساس مهمة الإنسان على وجه الأرض حسب المفهوم الاسلامي؟

قال أحدهم: أخبرينا.

قلت لهم: أساس مهمة البشر هي عقلانيتهم التي تميزوا بها عن الحيوان للتفريق بين الحق والباطل في كل خطوة من خطوات حياتهم. ويظل الصراع بين الحق والباطل هو أساس الاختبار. أم تأتي ليختبرها الخالق، ويرى من سيقف مع الحق ومن سيقف مع الباطل. وتُسجَّل على الإنسان النتيجة مع علم الخالق المسبق بها، والتي سوف تكون حجة على الإنسان يوم القيامة. ويتمايز البشر عن بعضهم البعض حسب مواقفهم.

فبالتالي وجود الألغاز في جوهر الإيمان يتعارض مع جوهر مهمة الإنسان، وهو التفريق بين الحق والباطل باستخدام عقلانيته. فعلى سبيل المثال: لو زود مدرس مادة الرياضيات الطلاب بآلة حاسبة لاستخدامها لإيجاد الإجابة الصحيحة في الاختبار من اختيارات متعددة. ثم يتفاجأ الطالب أن نتيجة الآلة الحاسبة (رمز لعقلانية الإنسان) لا تتطابق مع أي من الخيارات المتعددة من الإجابات، فيكون في هذه الحالة لا معنى لتزويدهم بالآلة الحاسبة أصلا.

حياة الإنسان عبارة عن مهمة عاجلة على كوكب الأرض. إن حياة الإنسان في هذه المهمة عبارة عن سلسلة من القرارات التي يتخذها في كل دقيقة من دقائق عمره منذ بلوغه، والتي سوف يحاسَب عليها بعد الموت من خالقه.

الدرس الذي علمه الله للبشرية عند قبوله توبة آدم بسبب أكله من الشجرة المُحَرَّمَة عليه هو بمثابة أول مغفرة لربِّ العالمين للبشرية، حيث إنه لا يوجد معنىً للخطيئة الموروثة، فلا تزر وازرة وزر أخرى، فكل إنسان يتحمل ذنبه وحده؛ ولا داعي لأن يموت المسيح من أجلنا كبشر، فقد نجا المسيح من الصلب والموت حسب عقيدتنا. فكل إنسان مسؤول عن أعماله كما ذكرت سابقا. وهذا من رحمة ربِّ العالمين بالبشر.

قلت لهم أيضا: نحن نؤمن بالمسيح على أنه رسول من عند الله، ووالدته خير نساء العالمين. النساء المسلمات محجبات مثلها. هي السيدة الوحيدة المذكورة باسمها في القرآن الكريم. وهناك سورة كاملة باسمها في القرآن أيضا. وبذلك فالمسلم يعبد الخالق كما عبد المسيح الخالق ولا يعبد المسيح نفسه. ويعبد الخالق كما عبدت السيدة مريم الخالق، ولا يعبد السيدة مريم نفسها. المسلم يسجد كما سجد المسيح وجميع الأنبياء تماما لله في صلاته.

قال أحدهم: جميل جدا.

وقال أيضا: ويظل السلام والتعايش السلمي أهم شيء في الوجود.

قلت له: بالنسبة لنا يبقى حق الخالق بعبادته وحده أهم شيء في الوجود. ثم يأتي حق البشر.

أما بخصوص التعايش السلمي، فمن أساسيات عقيدة المسلمين هو ضم الآخرين معهم ومشاركتهم لهم في حياتهم (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من حقوق وواجبات)، مع تباين في التطبيق الذي تعتريه العيوب، والذي أخذ بعض الأحيان في عصور لاحقة طابعًا سياسيًا بسبب الضعف البشري. وهذا يقودنا إلى أهمية التمييز بين دين الإسلام المثالي والمسلمون الغير مثاليون.

وقد عاش اليهود والنصارى بكنف الإسلام يتمتعون بحقوقهم. وهذا ما ينادي بها العالم اليوم، الدين الإسلامي الذي جعل لغير المسلم حقوقًا عنده، وعرَّف البشرية كلها المعنى الحقيقي للتعايش السلمي، ولكن دون الإعتراف بصحة دين غير المسلم، مع حرص المسلم على توضيح الدين الصحيح لغير المسلم. فالدين الصحيح دين واحد لا تعددية فيه. فلا تعددية في الحق.

وذلك بالتمسك بحقيقة مطلقة لا حياد عنها، وهي أن الدين الصحيح هو دين واحد فقط، وهو الإيمان بالخالق الواحد الأحد الذي ليس له شريك ولا ولد، فهو يخلق ولا يلد، وعبادته مباشرة دون تدخل قديس ولا قسيس ولا أي وسيط.

وفي نهاية الزيارة شكرنا القساوسة على هذا الحوار الجميل. وحمدت الله تعالى أن أعانني على إجابة الأسئلة من خلال هذا الحوار الجميل والهادف.

كلمة أخيرة

يقول العالم الفيزيائي ألبرت آينشتاين: "إن أي شخص متمرس في حقل العلم يصير واثقًا بوجود روح جلية في قوانين الكون، روح تفوق تلك التي عند البشر على نحو فائق، روح على وجه ما يجب علينا نحن بقدراتنا المتواضعة أن نشعر تجاهها بالتواضع، بهذا الشكل السعي وراء العلم يؤدي إلى شعور ديني من نوع خاص [٥٣]".

ولأن الخالق غيب، ولأن المستقبل غيب، ولأن الآخرة غيب، ومن يموت لا يعود، انتشر الإلحاد، وسادت الأفكار المادية، وعبد بعض البشر أنفسهم واستسلموا لشهواتهم وانكبوا على الدنيا يتقاتلون على منافعها، وظن أكثرهم أن ليس وراء الدنيا شيء وليس بعد الحياة شيء. وأصبح للكفر نظريات وللمادية فلسفات.

وبما أن الموت لم يتم التغلب عليه، يحتاج البشر إلى حياة روحية تتعامل مع هذا الواقع وما يكمن وراءه. ففي مفهوم الإنسان العاقل فقد خلق الإنسان ليحيا وليس ليفنى. لا يقتصر الفهم الإسلامي للحياة الروحية على هذا الوجود الدنيوي. إنها طريقة تجعل الحياة والآخرة مثمرة. إنها طريقة يمكن أن تحول خمس دقائق تواصل مع الخالق في هذه الحياة ليس إلى خمس ساعات فحسب، بل إلى الأبدية.

إن هذه الحياة الدنيا ليست كل شيء، ولا يمكن أن تكون كل شيء وفيها كل هذه الآلام والمظالم، وإنما لابد أن يكون وراءها عالم آخر سماوي ترد فيه الحقوق إلى أصحابها، ويجد كل ظالم عقابه. بالألم ومغالبته والصبر عليه ومجاهدته تنمو الشخصية وتزداد الإرادة صلابة وإصرار ويصبح الإنسان شيئاً آخر غير الحيوان والنبات[٥٤].

---

[٥٣] Einstein ١٩٣٦, as cited in Dukas and Hoffmann, Albert Einstein: The Human Side, Princeton University Press, ١٩٧٩, ٣٣

[٥٤] الدكتور مصطفى محمود. كتـــاب: الشيطان يحكم.

والإسلام هو الحياة البديلة بمشروع أبدي لا يبلى ولا تنقضي صلاحيته، وإذا رآه البعض قديمًا فهو أيضًا حديث ومستقبلي لا يحده زمان ولا مكان؛ فالإسلام ليس موجة فكرية ولا موضة ويمكنه الانتظار. لا تستبعد أن يعاود الشرق قيادة العالم حضاريًا[٥٥].

الأديب والمفكر اليوناني نيكوس كازانتزاكيس ١٨٨٣-١٩٥٧م في روايته (الحديقة الصخرية) من وحي سفره للشرق الأقصى على ظهر باخرة، أخذ يتأمل الناس على ظهرها فقال:

«على ظهر الباخرة أراقب الجميع، كانوا يصبحون فارغين بعد الانتهاء من المقامرة والتدخين والخمر، كبنطلونات وقمصان فارغة، غسيل بشري على حبال السفينة منتفخ في الريح. لم يحتفظ أحد بكرامته الإنسانية سوى بضعة هنود مسلمين، كل صباح عند الشروق، وكل مساء عند الغروب، كانوا يركعون ويصلون بسكينة وبهاء، لقد منحهم دينهم إيقاعًا شمسيًا جاعلًا أرواحهم كزهرة دوار الشمس تتبع تعاليم السماء. كان الجميع يتعفن، ولم يكن يقاوم هذا التعفن سوى هؤلاء المسلمين».

فيا له من وصف رائع دقيق. فالبشرية تتعفن، تقتلها الشهوات، تستهلكها اللذائذ، تعاقر الحرام، فتصبح ذابلة مستهلكه، إلا المسلمين لا يزالون يحتفظون بطاقتهم وبهائهم. يقاومون الذوبان ويحتفظون بمسمى إنسان. فلن يحدث توازن في البشرية إلا بعودة المسلمين لمركزية العالم وقيادته حين يحملون القوة ترافقها القيم.

---

٥٥ دكتور مراد هوفمان. مفكر إسلامي، دبلوماسي وسفير ألماني سابق، مستشار المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، مترجم معاني القرآن الكريم للغة الألمانية.
http://saaid.org/Doat/dali/١٢.htm

وأختم بشهادة أن:

لا إله إلا الله وحده، الخالق للكون وما يحويه، الذي يخلق ولا يلد، وأشهد أن محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. وأشهد أن أنبياء الله حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

Faten Sabri

faten@fatensabri.com